جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مقدمات ديوان إسماعيل صبرى
– دراسة تحليلية

إعداد

د/ حامد سعد على خضرجى جاويش

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنين بدسوق

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مقدمات ديوان إسماعيل صبري – دراسة تحليلية

حامد سعد على خضرجى جاويش

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يلقى البحث الضوء على دراسة مقدمات دواوين الشعراء فى العصر الحديث، لا سيما أنه قد قام بهذا العمل التقديمى أدباء كبار لهم باع طويل فى الدراسات الأدبية والنقدية؛ ومن ثم فمقدمات الدواوين من الأهمية بمكان، سواء أكانت صادرة عن أصحاب الدواوين أنفسهم أم صادرة عن غيرهم، فهي قراءة تمهيدية موازية لما فى الديوان من نصوص إبداعية، وعتبة من عتباته التى توضح معالم الطريق أمام القارئ، وتفتح أفاقاً أوسع للدارسين حينما يقرؤون النص مرة ثانية في رحاب مبدعه وناقده، وديوان إسماعيل صبري من بين الدواوين فى العصر الحديث قد حاز إعجاب النقاد والدارسين، فقدم له ستة من الأدباء الكبار، حيث قد أدلى كل واحد منهم بدلوه تجاه الديوان وصاحبه، ساردين لمسيرة (صبري) الأدبية والإنسانية، ومنظرين لأهم المضامين الموضوعية والفنية فى ديوانه، وقد اتبعت فى سبيل ذلك المنهج التحليلي لمرونته بالسماح فى المواءمة بين الرؤى والأفكار، وقد خلص الباحث إلى بيان أهمية العمل التقديمى وأنه إبداع لا يقل أهمية عما ورد فى الديوان من إبداع، ولخطورة هذا العمل فإنه يحتاج إلى معايشة للديوان، كما يحتاج إل روية وتؤده فى إصدار الأحكام؛ لأن الدارسين يضعونها نصب أعينهم عند العودة مرة أخرى لدراسته، كما يؤكد الباحث على أنه يجب أن تكون ثمة منهجية علمية يسير عليه المقدمون حتى يجئ هذا العمل بعيدا عن الجزافية، والبعد عن السطحية فى عرض الرؤى والأفكار.

الكلمات المفتاحية: العمل التقديمى، إسماعيل صبري، الديوان، المنهجية، المشهد النقدي، السيرة الغيرية، نقد النقد.

Introductions to the Diwan of Ismail Sabri - an analytical study

Hamed Saad Ali Khaderji Gawish
Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Dessouk, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Hamedkhadragy782.el@azhar.edu.eg

Abstract:
The research sheds light on the study of the introductions to poetry collections in the modern era, especially since this introductory work was carried out by great writers with a long history in literary and critical studies. Hence, the introductions to collections are of great importance, whether they are issued by the authors of the collections themselves or issued by others, as they are an introductory reading parallel to the creative texts in the collection, and one of its thresholds that clarify the path in front of the reader, and open broader horizons for scholars when they read the text again. In the presence of his creator and critic, the collection of Ismail Sabry is among the collections of the modern era that have won the admiration of critics and scholars. Six great writers presented it, and each one of them gave his opinion towards the collection and its author, narrating Sabri's literary and humanitarian career, and examining the most important objective contents. And artistry in his collections. For this purpose, I followed the analytical approach due to its flexibility in allowing for harmonization between visions and ideas. The researcher concluded by stating the importance of the presentational work and that it is a creation no less important than the creativity contained in the collection. Because of the seriousness of this work, it requires living with the collection, just as it needs... It is wise and prudent in issuing judgements. Because scholars keep it in mind when they return to studying it again. The researcher also emphasizes that there must be a scientific methodology that the presenters follow so that this work is far from being arbitrary and far from superficiality in presenting visions and ideas.

Keywords: Introductory work, Ismail Sabri, Collection, Methodology, Critical scene, Heterosexual biography, Criticism of criticism.

المقدمة

الحمد لله المقدم والمؤخر، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، الأول بلا ابتداء والأخر بلا انتهاء، والصلاة والسلام على أفضل العالمين، سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

ومقدمات الدواوين عمل أدبي موازي للنصوص الواردة فيها، وهى بمثابة تهيئة للقارئ، ومن خلالها يستعين على فك رموز التجربة الإبداعية المقبل على قراءتها، وهى إشارة تضيء الطريق قبل أن يبدأ فى القراءة والنقد، وإحدى العتبات التى تمهد للنص، فهي غير المقدمات الأخرى التى تُعْنَى بأهمية الموضوع، وتلقى أضواءً على الدراسات السابقة، ثم تفصل المحتوى الذى يتناوله المؤلف، ومنهجه، فمقدمات الدواوين شيء آخر غير مقدمات الكتب والرسائل العلمية؛ لذا يمكن تمييز مقدمات الدواوين الشعرية عن غيرها بأنها "خطاب نثرى يمهد لخطاب شعري فهما منفصلان انفصال الخطاب الواصف عن الخطاب الإبداعي؛ ولذا قد نجد تأليف مقدمة الديوان من عند غير الشاعر صاحب الديوان"[(١)].

وتأسيسا على ما سبق؛ فدراسة مقدمات الدواوين مهمة لدارسي النقد الأدبي؛ لأنها تعد نافذة على التجربة الشعرية الموجودة فى الديوان، كما أنها تعد تسجيلا لحركة شعرية ما، أو تغييراً طرأ على الشعر، فيمكن لدارسي الشعر المهتمين بنقده ومعرفة تطوراته أن يرجعوا إلى هذه المقدمات، فهي قراءة سريعة لهذه الدواوين، ومقاربة نقدية لما ورد فيها من نصوص؛ ومن ثم فلها أهمية بالغة

(١) المضامين النقدية لمقدمات الدواوين الشعرية قراءة فى مقدمتي سقط الزند و اللزوميات لأبى العلاء المعرى – مقال لناصر بناني – مجلة اللغة الوظيفية – المركز الجامعي بآفلو – الجزائر – ج . الثامن – العدد ٢ – عام ٢٠٢١م صـ : ١٦١.

فى حقل الدراسات الأدبية والنقدية، ولا يمكن لأي باحث من الباحثين المهتمين بدراسة الدواوين الشعرية أن يغفل قراءة مثل هذه المقدمات؛ لذا كان لزاماً على من يكتب مثل هذه المقدمات أن يكون له باع طويل فى الدراسات الأدبية والنقدية، أو أن تكون صادرة من الشعراء أنفسهم أصحاب الدواوين؛ فحينئذٍ يتسنى للباحث أن يعقد مقاربة نقدية بين خطاب الشاعر النظري والتطبيقي .

ولقد جذب انتباهي هذا الخطاب التقديمى، فنظرت فى العديد من المقدمات فى العصر الحديث، وخاصة هذه المقدمات الصادرة من النقاد غير ناظمي الدواوين أنفسهم، فوقع نظري على مقدمات ديوان (إسماعيل صبري باشا) [(١)]، وهو شاعر عملاق، قدم له نقاد عمالقة، ومن ثم فقد جمع هذا العمل بين الحسنيين، ولم أر ديوانا توافرت عليه ست مقدمات إلا هذا الديوان، ومن ثم فقد عقدت العزم وسألت من الله العون على خوض غمار هذا البحث ومعايشة المقدمات التى تناولت ديوان (إسماعيل صبري) .

أما الدراسات السابقة فقد سبق هذا البحث بدراسات قليلة جداً وغير وافية بدراسة هذا المجال، من هذه الدراسات بحث بعنوان(مقدمات دواوين الشعراء الإحيائيين لدواوينهم فى الربع الأول من القرن العشرين: دراسة نقدية)،للباحث السعودي(أحمد بن صالح الطامى)، وقد نشر فى مجلة كلية الآداب بجامعة

(١) وهو : إسماعيل صبري باشا (ت ١٩٢٣ م) من شعراء الطبقة الأولى في عصره، تلقى تعليمه بالقاهرة، ثم سافر لدراسة الحقوق بفرنسة، تولى القضاء بمصر، وعين نائبا عموميا، فمحافظا للإسكندرية، فوكيلا لنظارة (الحقانية)، وعن أخلاقه حدث ولا حرج، فقد كان يتحلى بالتواضع والحياء الجم، رغم توليه حقبا إدارية عليا، ذكرت هذه الترجمة المختصرة مع كونه مشهوراً ، ليتميز عن إسماعيل صبري الصغير أبو أميمة (ت ١٩٥٣) ، راجع الأعلام – الزركلى– دار العلم للملايين – ط ١٥– عام ٢٠٠٢م– : ٣١٥/١.

الملك سعود، وقد تناول فيه ثلاثة من الشعراء قدموا لأنفسهم وهم : (حافظ إبراهيم)، و(مصطفى صادق الرافعي)، و(جميل صدقي الزهاوى)، ومن الدراسات التى سبقت هذا البحث دراسة بعنوان (النقد فى مقدمات الدواوين الشعرية من الشدياق إلى العقاد) للباحث (د/ حسن أحمد الأشلم)، مجلة كلية التربية جامعة مصراتة، وقد تناول فيها سبعة من الشعراء : (الشدياق)، و(البارودي)، و(العقاد)،و(مطران)، و(الزهاوى)، و(شكري)، و(المازني)، ومن الدراسات السابقة أيضاً مقال منشور فى مجلة اللغة الوظيفية بالجزائر، لـ(ناصر بناتي)، وجاء بعنوان:(قراءة فى مقدمتي " سقط الزند" و" اللزوميات " لأبى العلاء المعرى)، ثم بعض المقالات الصغيرة التى تناولت بعض مقدمات دواوين الشعراء أو جانبٍ منها، وكلها بعيدة تماما فى التناول عن هذا البحث الذى نحن بصدد الحديث عنه، فلم يتناول أحد من الباحثين مقدمات ديوان(إسماعيل صبري)، هذا فضلا عن كون هذه الدراسات السابقة– وهى لا تعدو أن تكون مقالات صغيرة–قد عُنِيت بمقدمات ناظمي الدواوين أنفسهم، كما أنها لم تكن وافية فى مجالها، فأردت أن أدلى بدلوي بعمل بحث يخدم هذا المجال يضاف إلى الدراسات الأدبية والنقدية .

وقد تطلبت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي أساسا تقوم عليه؛ فهذا المنهج يتميز بالمرونة التى تسمح بالمواءمة بين الرؤى والأفكار.

وقد جاءت دراستي لهذا الموضوع تحت عنوان (**مقدمات ديوان إسماعيل صبري دراسة تحليلية)** .

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة محاور رئيسة ، وخاتمة.

أما **المقدمة** فقد بينت فيها دافع اختياري لهذا البحث ، ثم أوضحت أهميته في مجال الدراسات الأدبية ، والتخطيط الذي احتواه .

وفي **التمهيد** ألقيت الضوء على مقدمات الدواوين الشعرية بين الذاتية والغيرية .

وجاء المحور الأول بعنوان : مقومات السيرة الغيرية .

وعنون الباحث للمحور الثانى بـ : المضامين الموضوعية فى مقدمات ديوان(إسماعيل صبري).

وجاء المحور الثالث بعنوان : المضامين الفنية فى مقدمات ديوان (إسماعيل صبري) .

وأما المحور الرابع فقد جاء بعنوان : مقدمات ديوان(إسماعيل صبري) مالها وما عليها

وتأتى **خاتمة** هذا البحث لتسجل أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة .

والله تعالى من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير

تمهيد : مقدمات الدواوين بين الذاتية والغيرة

درج الجامعون للدواوين الشعرية منذ بداية عصر التدوين والجمع فى العصر العباسي على عمل مقدمات أدبية يصدرونها بها، والناظر لتلك المقدمات يجد أنها إما أن تكون من عمل الشعراء أنفسهم، أو من عمل غيرهم ممن لهم قدم راسخة فى العمل الأدبي، حيث يعهدون بكتابة مقدماتهم من يثقون به فى هذا المجال .

فها هو ذا شيخ المعرة يكتب مقدمتا ديوانيه (سقط الزند)، و(اللزوميات)؛ ليلزم نفسه بمنهج معين يسير عليه ويختص به من بين شعراء عصره، وهكذا فعل شعراء العصر الحديث وعلى رأسهم أمير الشعراء(أحمد شوقى) يقدم لشوقياته بنفسه، وأيضا من شعراء الإحياء والبعث (أحمد فارس الشدياق)، وكذلك (العقاد)وغيرهم؛ ليبينوا للقراء أركان الشعر وحدوده والمنهج الذى ساروا عليه من أجل المحافظة على أسس الشعر وعموده .

وهذه المقدمات التى سطرها الشعراء بأقلامهم مصدرين بها دواوينهم تعد تأصيلاً لمذاهبهم الفنية، أو لونا شعريا يتبنونه من خلال دواوينهم، أو تسجيلا لحركة شعرية ما، أو رصداً لتغيير طرأ على الساحة الإبداعية، وهو ما حدث على سبيل المثال فى مقدمة ديوان (نازك الملائكة)(شظايا ورماد)، حيث قد أسهبت الحديث فى تلك المقدمة عن التمرد على قيود الشعر العربى والخروج من قيوده المألوفة فيما يخص الوزن والقافية، ومن ثم فقد تبنّت فى هذه المقدمة حركة ثارت فيها على حدود الشعر؛ لتحطم كل قيوده القديمة الموروثة، وقد فرضت هذه الحركة نفسها على الساحة، ولا مناص من مجاراتها، وفى بعض الأحيان نجد (نازك الملائكة) تعهد إلى غيرها بكتابة مقدمتها ممن تثق به، وكذلك فعل الشاعر (على الجارم) حيث قدم لديوانه بنفسه، ثم قدم له (العقاد) أيضاً.

وعلى الجانب الآخر نجد فريقا من شعراء مصر فى العصر الحديث قد قدم لهم غيرهم من النقاد دواوينهم وذلك،كـ(حافظ إبراهيم)، و(عبد الرحمن

شكري)، و(إبراهيم ناجى)، و(أمل دنقل)، وهذا النوع هو محط أنظار البحث الذى نحن بصدد معالجته.

وتلك المقدمات الغيرية تعد عملا نقدياً يتكئ عليه الناقد وتوطئة للقارئ، ومن ثم فهي لا تقلّ شأنا عن النصوص الواردة فى الديوان؛ ولهذا وجدنا جيلا عظيما من النقاد قد تبارى فى صنع مثل هذه المقدمات بل لقد شهر بعملها، من أمثال : (العقاد)،و(د/طه حسين)، و(أحمد أمين)، و(الطاهر أحمد مكي)، والناقد اليمنى المعروف (عبد العزيز مقالح)، والأخير هذا صار متخصصاً فى كتابتها، ومن هنا كانت دراسة مثل هذه المقدمات من الأهمية بمكان بل تعد بمثابة نقد النقد.

ومن اللافت للنظر أننا نجد بعض الدواوين الشعرية فى العصر الحديث قد قدم لها أكثر من مقدم، وذلك كديوان (حافظ إبراهيم)[(١)]، حيث قدم له (محمد إسماعيل كانى)، وقد جاءت فى أربعين صفحة، تناول فيها عصر الشاعر، ونشأته وحياته، ثم تحدث فيها أيضاً عن طبقة الشاعر وأهم خصائصه، ثم تحدث عن شعره ، وأما المقدمة الثانية فكانت للأستاذ(أحمد أمين)، والتى تعد دراسة نقدية وافية للديوان، حيث قد تحدث فيها عن سيرة الشاعر، وتناول أغراضه وخاصة شعره السياسي، متناولاً ثقافته ومصادر هذه الثقافة، ثم عقد موازنة بينه وبين شعراء عصره، لافتا انتباه القارئ إلى تمرده على قيود القديم رغم أنه من المحافظين، ثم أخذ فى الحديث عن قضايا التجديد فى العصر الحديث، بما فى ذلك التجديد فى الأغراض، ثم اختتم هذه المقدمة بالحديث عن منزلة (حافظ إبراهيم) الشعرية .

(١) الطبعة الثالثة الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٧م .

وكذلك نجد ديوان (صالح الشرنوبي)[1]تتصدره مقدمتان : الأولى من تقديم (د/ أحمد كمال زكى)، وهى مقدمة مختصرة، تحدث فيها عن حياة الشاعر وديوانه، وأما الثانية فكانت من تقديم (الدكتور/عبد الحي دياب)، وهى وافيه ومفصلة، حيث قد عرض فيها نقاشا نقديا يدل على معايشته للديوان، فتناول الحيوات : السياسية، والفكرية، والاجتماعية، تلك الحيوات التى عاش فى رحابها (صالح الشرنوبى)، ثم تحدث عن شعر(الشرنوبى)موازناً بينه وبين شعراء عصره، ثم اختتم بالحديث عن سيرته.

أما ديوان(إسماعيل صبري) الذى نحن بصدد الحديث عنه نجد أن الطبعة الأولى التى ظهرت بعد موته بخمس عشرة سنة على يد صهره (حسن بك رفعت)، بعد أن أقرتها لجنة الترجمة والنشر عام (١٩٣٨م)، جاءت مُقَدَّما لها بأكثر من مقدمة: مقدمة جامع الديوان (حسن رفعت بك)، ومقدمة (د/طه حسين)، والأستاذ (أحمد أمين)، والأستاذ (أنطون الجميل)، والأستاذ (أحمد الزين)، وقد ذكر ذلك (السماح عبد الله)الذى قدم للطبعة الثانية التى ظهرت عام ٢٠١٦م.

ومما هو جدير بالذكر أن نذكر أدلة ثبوت هذه المقدمات لأصحابها؛ حيث توفرت أدلة من أقوال المقدمين تثبت أنها مقدمات قدم بها أصحابها التقديم لهذا الديوان، فمن هؤلاء المقدمين (السماح عبد الله)، وهو مقدم الطبعة الثانية التى ظهرت عام ٢٠١٦م، حيث قال متحدثا عن جهود الشاعر(أحمد الزين) فى التصحيح والضبط والشرح والترتيب " .... ليصدر ديوان (إسماعيل صبري) عن لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨م، بعد وفاة صاحب الديوان بخمسة عشر عاماً، مقدماً له بأكثر من مقدمة لكل من : جامع الديوان (حسن

(١) الطبعة الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة .

رفعت بك)، وصاحب العزة (الدكتور/طه حسين)، و(الأستاذ أنطون الجميل)، و(الأستاذ أحمد أمين)"[١]، فقد ذكر صراحة أن هؤلاء جميعاً قدموا لديوان صبري للطبعة الأولى .

ومن الأدلة أيضاً وقول جامع الديوان (حسن بك رفعت): " ها هو الديوان المرتجى من زمن بعيد نقدمه لطلاب الأدب من الناطقين بلغة العرب، ضارعين إلى الله أن يجزى الذين جاهدوا معنا فى سبيله من أهل الفضل أحسن الجزاء "[٢]، كما نجد (د / طه حسين) يذكر ما يدل على أنه أحد المقدمين لديوان (صبري)؛ فيقول: " فحبسي الآن أن أقدم هذا الديوان إلى قراء الشعر العربى الحديث ومحبيه واثقاً بأني أقدم إليهم شيئاً سيقع فى نفوسهم موقع الرضا والحب والوفاء"، وهكذا ذكر كل واحد من مقدمي ديوان (إسماعيل صبري) وهو يقدم لنا هذا الطرح على أنه مقدمة، وليست دراسة عادية كغيرها من الدراسات، وإنما عرضوا لها فى صورة خطاب تقديمي.

وقد انصب حديث هؤلاء المقدمين لديوان (صبري) على جوانب كثيرة من حياة الشاعر وشعره وديوانه؛ وقد ترك كل واحد منهم المجال للآخر ليبرز جانبا مهما فى شعره أو فى حياته، وقد كانت مقدمة الأستاذ (أحمد أمين)أكثر تفصيلا لحياته وأخلاقه، وما قدمه لديوانه من ضبط وشرح... إلخ، وإن كنت آخذ عليه أنه عند الحديث عن أطوار حياة (صبري)سردها بطريقة بعيدة عن الأسلوب الأدبي وكأنه يملأ ملفاً للتقديم فى أحد الوظائف الحكومية، وقد ذكر ذلك بالفعل أنه لخص ذلك من ملف خدمته الحكومية، ولكن كنت أنتظر منه أن يستقى هذه

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – للسماح عبد الله– الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م – صـ : ١٠.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لحسن رفعت بك – الصادرة عن مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة – عام ١٣٧٥– ١٩٣٨م – صـ : ٢.

المعلومات من هذا الملف ثم يسردها لنا بأسلوب أدبي راقي، لا سيما أن الأستاذ (أحمد الزين) عنده الموهبة الأدبية التى تؤهله لذلك؛ لذا فإن الباحث سوف يتناول الحديث فى الصفحات التالية عن المحاور الآتية :

المحور الأول: مقومات السيرة الغيرية .

الثانى : المضامين الموضوعية فى مقدمات ديوان (إسماعيل صبري).

الثالث : المضامين الفنية فى مقدمات ديوان (إسماعيل صبري) .

الرابع : مقدمات ديوان (إسماعيل صبري) مالها وما عليها.

أولاً : مقومات السيرة الغيرية

وهى لون من الألوان الأدبية، وأعنى بها تناول سيرة حياة شخص ما من قبل كاتب آخر، معتمدا فى ذلك على جمع المعلومات الصحيحة حول الشخص الذى يريد الكتابة عنه، أو من خلال ذاكرته إن كان معاصرا له، وشاهداً على جميع مراحل حياته، متناولا فى ذلك جميع هذه المراحل من المولد حتى الوفاة، مضفيا عليها بأسلوبه الأدبي[1]، حيث قد اعتاد المقدمون للدواوين الشعرية أن يذكروا تعريفا بصاحب الديوان الذى يقدمونه، وليكون توطئة لما يذكرونه من أحكام نقدية، وفى هذه المقدمات التى قدمت لديوان الشاعر(إسماعيل صبري) نجد المقدمين قد تناولوا سيرته كشاعر مبدع، فحدثوا عنه كل حسب اقترابه من شخصيته، فمنهم من اقترب منه من ناحية التكوين النفسي، ومنهم من اقترب منه فى ناحية الإبداع، ولهذا جاء سرد كل واحد منهم لحياته مختلفا عن الآخر، وإن تلاقوا نهاية المطاف عند إنسانيته وانطلاقه كمبدع وفنان وأنه شيخ الشعراء وأميرهم وأستاذهم .

(١) فن السيرة – د /إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت لبنان –ط٢– عام ١٩٠٠م – صـ : ١١٢.

لقد تجاذب المقدمون أطراف الحديث عن سيرة (صبري)، فتحدثوا عن أخلاقه ووطنيته وأطوار حياته، فجامع ديوانه وصهره الأستاذ (حسن رفعت بك) يقترب من شخصيته ويجلى لنا أمرين فى غاية الأهمية : الأول علاقة صبري بالمرأة، وأنه كان محبا لها مؤمناً بالمحافظة على حقوقها وقضاياها ، إذ كان يتلمس خطا العذريين من حيث التعبد فى محراب المرأة الواحدة لا يرى غيرها، فكذلك كان (صبري) يحب التوحد فيها إذ نجد الأستاذ (حسن رفعت بك) يذكر ذلك فى مقدمته قائلاً :"جرى حديث طريف بين صبري وبيني بحضور الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ (محمد عبده) فى موضوع تعدد الزوجات، وكان (صبري) يحب التوحد فى المرأة –كما قال فى كلمته المأثورة – وكنت على مذهبه فاتفقنا فى الرأي"[(١)]وكان لهذا التوافق فى الرأي عظيم الأثر؛ فأعجب (صبري) به، وما كان منه على إثر هذا الإعجاب إلا أن قبل مصاهرته بعد أن تخرج من الحقوق.

وأما الأمر الثانى –بحكم أنه جامع ديوانه–فنجده يتحدث عن قلة نتاجه وأنه كان ضنينا به، باحثا عن الأجود مما يجيش فى صدره، غير مكترث لضياع بعضه؛ لإيمانه الشديد بأن ما فى صدره أفضل ولم يخرج بعد؛ فيقول فى ذلك" وكان –صبري– أشبه بالبلبل يرسل أغاريده الساحرة إذا ما جاشت فى صدره عاطفة، أو تأثرت نفسه بحادثة أو خطرت له ذكرى، ثم يتركها تمضى مع الأيام

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لحسن رفعت بك – الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م – صـ : ١٣، ومذهب صبري فى حب التوحد فى المرأة أعلن عنه صراحة فى ديوانه قائلا :

يا من تزوج باثنتين ألا اتئـــد ألقيت نفسك ظالما فى الهاوية

ما العدل بين الضرتين بممكن لو كنت تعدل ما أخذت الثانية

وهو لا يعدو سوى رأى شخصي لا يعول عليه لأنه مخالف للنصوص الشرعية ، إذ العدول عن الزواج باثنتين يجب عند خشية عدم العدل بينهما ..... الديوان ص: ١٤٤.

غير مبال بمصيرها"[١]، معرجاً على ذلك بالموقف الذى حدث بين صبري وبين داود بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام الذى أتحفه بنشيد قومي من أجلِّ ما جادت به قريحته، وقد حاز إعجاب داود به فطلب منه أن يمده به ليصدر به إحدى صحائفه، فطلب (صبري) منه أن ينذره للغد، ثم عمد إلى ما كتب فمزقه وأخبره بأنه لم يعد يذكر منه شيئاً[٢]، ومن ثم كان هذا دافعا للأستاذ (حسن بك رفعت) أن يسارع فى جمع كل ما نظمه (صبري)خوفاً عليه من الضياع فكان منّةٌ من الله على (صبري) وعلينا أجمعين أن قيض الله مثل هذا الرجل لينقل هذا الإرث الأدبي إلى الحقب التالية، وهذا يبرز لنا رأى الأستاذ (حسن رفعت) فى سبب قلة شعر (صبري) هو عدم اكتراثه به وأنه غير مهتم بذلك، إذ لو كان(صبري) مهتما بنتاجه الشعرى لسارع هو شخصياً لجمع ديوانه فى حياته وهو ما لم يحدث .

وقد تحدث (د/طه حسين)فى تقديمه أيضا عن قلة نتاج (صبري) وقد عزا ذلك إلى كونه لم يتخذه مهنة؛ فقال عنه: " وإنما كان مقلا شديد الإقلال، ولم يكن (صبري) يتخذ من الشعر صناعة، وإنما كان يتخذه لونا من ألوان الترف، وفنا من فنون الامتياز الأدبي والعقلي الرفيع " [٣] (فصبري) كان مقلاً بطبعه؛ ولأنه كان متقلدا لأعلى المناصب فلم يكن فى حاجة إلى التكسب بشعره، ولم يكن فى حاجة أيضا إلى شهرة فقد نال حظه منها، وإنما كان نظمه للشعر حباً فى الشعر وإبداعاته .

---

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لحسن رفعت بك – الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م – صـ : ١٣.

(٢) راجع المصدر السابق : ١٤.

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لحسن رفعت بك – الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م – صـ : ٢٠.

وقد أخذ الأستاذ (أنطون الجميل)يتلمس أسباب تلك الندرة أيضاً، حيث أرجعها فى مقدمته إلى اهتمام (صبري) بشعره وتنقيحه أكثر من اللازم، حيث كان يترسم خطا الأقدمين من عبيد الشعر والحوليين، فيقول فى هذا الصدد" فكان جهاده الشعرى طويلا شاقا، وهو يجد قوته فى تجديد مجهوده، كان يستحث فنه دائما للاستزادة من الإتقان وجمال الفن، وهو سر عظمة المفتن، فإنه يدرك المجد والرفعة، ويفوز برضا الناس، ولكنه لا ينعم برضا نفسه، ولا يفوز بارتياح خاطره، كان الجميع يرضون عن شعر (صبري) إلا(صبري)، فكان لا يزال يحور ويغير، ويقدم ويؤخر وهو متعطش إلى مثل أعلى لم يدركه حتى كأنه يقول : (إن أجمل الشعر لا يزال فى صدري لم أتمكن من نظمه حتى الآن) " [(١)]، فرأى الأستاذ (أنطون الجميل) إذن فى هذه القلة هو اهتمام (صبري) الشديد بشعره وتنقيحه وإخراجه على الصورة التى ترضيه قبل أن يرضى الناس عنه .

ويقترب الأستاذ (أحمد الزين)من (صبري)على المستوى الشخصي بحكم صحبته وأنه قد لازمه قرابة ثلاثة عشرة عاماً؛ ومن ثم فقد جاءت مقدمته أوفى وأشمل فى الحديث عن أخلاقه ووطنيته وصفاته الشخصية عن غيرها من المقدمات الأخرى، حيث قد أخذ فى سرد خلاله وما حباه الله من أدب جم، وخلق رفيع، وصدقه وأمانته، وحسن معشره، وغضه الطرف عن مسالب غيره، وكرمه الحاتمي، ولكننا نجد الأستاذ (أحمد الزين) قد انفعل بهذا الحديث لدرجة أنه ربما بالغ فى الحديث عن شخصيته بعض الشئ، وذلك نظراً لما كان بينهما من صحبة، وقرب على المستوى الشخصي، فنجده يقول مثلا : " وإن الكاتب ليجد لـ(صبري) فى الشعراء من يماثله أو يقاربه، ولكنه إذا ما حاول أن يجد لـ(صبري)مشابهاً أو مقارباً فيما وهبه الله من خلق رائع وأدب رفيع فإنه – بلا

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لأنطون الجميل – الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م – صـ :٣٩ – ٤٠.

شك – بالغ أقصى جهده، دون أن يصل إلى شئ من قصده، سواء منه ما كان مختصا منه بشخصه، أو متصلا بأهله وعشيرته، أو متعلقا بأصدقائه ومحبيه، أو مرتبطا بوطنه وأمته، أو ماسا برأيه وعقيدته "[1]كيف ذلك ؟!! فكل بشر له ماله وعليه ما عليه، ولا يبلغ الكمال سوى من عصمه الله، وكان يجب عليه أن يتجرد من الهوى ولا يغلب وجدانه ولا يتجاوز فى هذا الصدد، هكذا يجب على كل من يتصدى لكتابة سيرة غيره .

وكل مقدمي ديوان (صبري)– الطبعة الأولى– معاصرون له، وواثقوا الصلة به؛ لذا جاءت تراجمهم له وافية، وقد أخذت عنهم المصادر التى ترجمت له، كالأعلام للزركى[٢]، ومعجم المؤلفين لرضا كحاله[٣]، وهى تراجم موجزة جدا، وقد ذكر الزركلى أنه أخذ عن مقدمة الديوان، وذكر كحالة أنه أخذ عن الزركلى، وكذلك أخذ عنهم (السماح عبد الله) مقدم الطبعة الثانية الصادرة عام ٢٠١٦م، والذى يثبت أنه نقل عنهم بعد قراءة عابرة لما كتبوا دون التركيز فيها، حيث إننا نجد عبارات منقولة برمتها من كلامهم، بل هناك عبارة نقلها من كلام (أنطون الجميل)على أنها من كلام (إسماعيل صبري) والأمر ليس كذلك، بل هى من كلام الأستاذ (أنطون الجميل) نفسه وهى : (إن أحسن ما عندي مازال فى صدري)[٤]، والدليل على ذلك قول (أنطون الجميل)قبل هذه العبارة:(كأنه يقول) والمعنى ولسان حاله يقول ، ولست بجازم أنها من كلام(إسماعيل صبري)،ولم

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لأحمد الزين– الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م – صـ : ٢٧.

(٢) الأعلام : ٣١٥/١.

(٣) معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – مكتبة المثنى – بيروت – دار إحياء التراث العربى ببيروت : ٢٧٢/٢.

(٤) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – للسماح عبد الله– الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م – صـ : ١٠.

يذكر أنه نقلها عنه ؛ ومن ثم كان لزاما على الدارسين أن يرجعوا لهذه المقدمات عند الترجمة (لصبري)فهي أوفى وأجدى، وكذلك فعل الباحث فايز عبد الحميد إبراهيم النجار فى دراسته التى حاز بها على درجة التخصص الماجستير فى الأدب والنقد عام ٢٠٠٤م، التى جاءت بعنوان (الروح المصرية بين البهاء زهير وإسماعيل صبري دراسة تحليلية)، حيث قد اعتمد فى ترجمته للشاعر إسماعيل صبري على هذه المقدمات، بل لقد اعتمد على بعض الآراء النقدية التى وردت فى هذه المقدمات مؤسسا عليها بعض الأحكام التى ذكرها خلال دراسته، وخلاصة القول: إنه يجب على من يقوم بالترجمة أو كتابة سيرة غيرية أن يأخذ من كلام جميع المتحدثين عنه لا سيما المعاصرين له فالكلام يكمل بعضه بعضا، هذا من جانب، ومن جانب أخر نرى كتب التراجم ينقل اللاحق منها عن السابق فلا جديد ولا معلومة مكتملة، أما المقدمون المعاصرون لصاحب الديون فلديهم الجديد ولديهم المعلومة كاملة، فلم لا يأخذون عن المقدمين؟ حتى لا يقع الباحث رهين كلام غير مكتمل، بل معاد ومكرور لا جديد فيه .

وأما عن ديوانه وكيفية جمعه فقد خلف لنا (صبري)ديوانا شعريا كان عرضة للضياع لولا أن قيض الله له من جاهد فى الحفاظ عليه جهادا كبيرا، حيث قد اتضح لنا من خلال المقدمات التى نحن بصدد دراستها، وكما ذكرت آنفا أن (صبري) لم يكن مكترثا بجمع ديوانه، إذ لم ترد إشارة أنه حاول ذلك فى حياته، لإحساسه أن الجيد من شعره لم يخرج من صدره بعد، وربما لأنه كان رجل دولة وعنده الكثير مما يشغله عن ذلك، ولقد تضافرت الجهود فى الحفاظ على شعر (صبري) ومحاولة جمعه فى ديوان، حيث ذكر (حسن رفعت بك)الذى بحكم صلته به وقربه منه وخشيته على شعر (صبري)من الضياع حيث قد هم

بالأمر وساعده فى ذلك الدكتور (إبراهيم رفعت)المدرس بكلية الهندسة، و(أحمد رفعت المهندس)، و(عبد الحميد أحمد ثابت) المدرس بالمدارس الأميرية[١].

وقد ذكر الدكتور (طه حسين) أيضا أن أسرة (صبري)تكلفت فى جمع ديوانه جهداً كبيراً، وقد شاركهم فى ذلك أيضا الأستاذ(أحمد الزين)حيث قد ذيل ما جمعه (حسن رفعت بك) بالأغاني التى نظمها(صبري)لكبار المغنين فى عصره،كما قام بضبط الألفاظ وبيان معناها مع ذكر المناسبات التى قيلت فيها الأبيات وذكر تواريخها وتبويب الأبيات حسب التاريخ، مع ترجمة الأعلام الواردة فى الديوان[٢]، وهو بالفعل جهد كبير قام به الأستاذ(أحمد الزين)تجاه ديوان(صبري)، وإن كنت آخذ عليه طريقة التبويب حسب التاريخ، إذ الترتب حسب حرف الروي -كما هو متبع فى الأعم الأغلب- طريقة أجدى وأسهل للباحثين، هذا فضلا عن وجود كثير من الأبيات ليس لها تاريخ مما يثير التساؤل لماذا وضعت فى هذا المكان ولم توضع فى غيره .

هذا ولقد اتفق المقدمون لديوان (صبري) على وطنيته، وأنه -رحمه الله- كان ذو حس وطني عالٍ، حيث كانت وطنيته أحد الدواعي والدوافع لشعره، ومواقفه الوطنية المشرفة خير شاهد على ذلك، إذ يتحدث عنها (السماح عبد الله) مقدم الطبعة الثانية عنها قائلاً : " ويذكر التاريخ لإسماعيل باشا صبري مواقف وطنية لا تصدر إلا عن مصري أصيل مؤمن بقضية بلاده، لعل أبرزها اعتزاله العمل القضائي نهائيا فى فبراير عام ١٩٠٧م اعتراضاً على محاكمة دنشواي التى راح ضحيتها عدد غير قليل من شباب مصر، وذلك قبل وصوله لسن المعاش بسنوات طوال "[٣]، فالوطنية فى دمه ومن أجلها يبذل الغالي والنفيس،

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبرى باشا الطبعة الثانية مقدمة حسن رفعت بك : ١٤.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ٦، ٤١.

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – للسماح عبد الله :١٠- ١١.

ومن لها يضحى، فليست مجرد شعارات بل حقيقة عملية، ومواقفه الثابتة خير دليل على ذلك فبالإضافة إلى ما سبق، فقد ذكر الأستاذ (أحمد الزين) أن من مواقفه الوطنية الشجاعة عندما كان محافظا للإسكندرية وأراد(مصطفى كامل)أن يخطب فى شعب الإسكندرية، فتخوفت الحكومة آنذاك لكنه أبى ذلك، وخلى بين الزعيم (مصطفى كامل) وبين شعب الإسكندرية، وقال للحكومة أنا مسئول عن ذلك(١)، هذا فضلا عما نظمه فى الوطن وآثاره الخالدة، وإيمانه الشديد بكل قضاياه مما سنتحدث عنه عند العرض للمضامين الموضوعية، وما ذكره المقدمون من نماذج من شعره تدل على هذه الوطنية، فسلام على جيل حمل أمانة الكلمة غير مكترث بما تخصص فيه من دراسة وعمل؛ لذا اكتسب ألقابا كان جديرا بها كرب السيف والقلم، وأمير الشعراء وشيخهم، وأستاذهم، ومن ثم وجدناه قد يضحى بلذيذ العيش بل بكل ما يملك وبما تقلده من مناصب عالية، كـ(حافظ) و(إسماعيل صبري باشا) وغيرهم من أجل وطنهم، وبعد هذا العرض السريع لهذه السيرة المبهرة والحافلة بالنجاحات على كل الأصعدة من حياة (صبري)، إلا أننا نرى حلقة فى سيرة (صبري) مفقودة وهى الحديث عن طفولة (صبري) المبكرة، فمن اللافت للنظر أن هذه الفترة من حياته لم يتعرض لها أحد من المقدمين لديوانه .

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – أحمد الزين : ٣٢.

ثانياً : المضامين الموضوعية فى مقدمات ديوان إسماعيل صبري

ومن خلال قراءة مقدمات ديوان (إسماعيل صبري) نجد ظهور العديد من الموضوعات الشعرية التى تناولها المقدمون بالدراسة والنقد، والتى انطوى عليها ديوانه، وهى المدح والوطنيات ، والفكاهة، وتصوير النفس ، والشعر الغنائي، والشكوى، وهى بالطبع ليست كل الموضوعات التى نظم فيها(صبري) وضمها ديوانه الذى بين أيدينا فهناك موضوعات أخرى غابت عن المشهد النقدي فى مقدمات الديوان، مثل الغزل والرثاء، والتقريظات والتهاني، الأمر الذى يحدو بنا صوب هذه المضامين بين حاضر وغائب متلمسين وجهة نظر هؤلاء المقدمين لديوان(صبري).

ولقد كان المديح أحد أهم المضامين الموضوعية التى تجلت لنا فى مقدمات ديوان (إسماعيل صبري)، إذ نجد (د/ طه حسين) يذكر فى مقدمته أن المديح يعد أول محاولات(صبري) الشعرية، فمن الطبعى أن ينظم فيه فيكثر؛ لأنه غرض شعبي سائد فى كل العصور لا سيما فى عصر(صبري) خاصة إذا كان الممدوح الخديوي(إسماعيل) وحاشيته من كبار رجال الدولة، و(صبري) لم يكن بدعا من الشعراء إذ قال فيهم أيضا فأكثر، فيقول(د/ طه حسين) الموضوعات التى نظم فيها : " يقول فى الموضوعات التى كان الناس يقولون فيها فى مدح الخديوي(إسماعيل)، وفى مدح بعض الأشخاص الذين كان يراهم فى سنه أهلا للمدح، لا يريد بذلك إلا الفن، إلا أن ينظم الشعر ويرفعه فى الممدوحين، وينشره فى الصحف، ويتحدث عنه الناس بأنه شاعر"[(١)] فيرى أنه سار على منوال السابقين، ويتبع ما يتبعونه من أسس للمديح، غير أن (صبري) لم يقصد من وراء مدحه مكسبا ماديا، فلم يكن يمدح إلا لحبه للفن، وإن قصد

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين :٨ .

إظهار البراعة ، والشهرة وذيوع الصيت فى الأوساط الأدبية، وهذا الرأي لم يكن رأى(د/ طه حسين) وحده بل رأى غيره من النقاد والدارسين لشعر الرجل، فها هو ذا (نجيب توفيق) يقرر المبدأ ذاته فيقول" لم يقبل –إسماعيل صبري– على الشعر إقبال المكسب بل إقبال الهاوي الذى أتيحت له ملكة شعرية فلم يستغلها فى معارضة القدماء وإنما استغلها فى تدوين الخواطر التى جاشت بها نفسه "[(١)]، وكذلك ذهب إلى هذا الرأي(أنطون الجميل) فى مقدمته قائلا : " ذلك أن (صبري)، كامرئ القيس، لم يقل الشعر راغبا ولا راهبا، وإنما كان يقوله عن عاطفة تختلج فى صدره كقطرة الندى؛ فيصوغها باللفظ كاللؤلؤة الصافية"[(٢)]، ولقد أحسن فى تشبيهه بـ(امرئ القيس)، فقد عاش(صبري)كالملوك مترفعا عن أى شهرة ومكسب وراء الشعر، فقد نال حظه منهما بعيدا عن الشعر؛ ومن ثم فكان محبا للشعر فنا وموهبة أكسبه الله إياها فقام بحقها أفضل القيام.

ولقد أخذ (الدكتور طه حسين)فى تقييم شعر المديح لديه بأنه قد يبدو فيه متكلفا بعض الشئ ومفرطا فى استخدام المحسنات البديعية تارة أخرى، وذلك فى بداياته الشعرية؛فيقول: " ويصطنع فى هذا الشعر ما كان يصطنعه الناس من ألوان البديع متكلفا فى ذلك أحيانا أخرى "[(٣)]والمحسنات البديعية كما هى فى عرف النقاد يجب أن لا يتعمدها الشاعر، وأن يكون الأخذ منها بقدر فهي كما يقولون كالملح فى الطعام، ومن ثم فقد انتقد(د طه حسين)(صبري) لأنه كان يتكلف فى استخدام المحسنات البديعية فى بدايات شعره، كما ذهب إلى ذلك أيضاً(أحمد أمين) فى مقدمته أن المديح من النوع الرسمي الذى جار (صبري)فيه

(١) إسماعيل صبري باشا (شيخ الشعراء) حياته وأثره فى الأدب وفى عصره– نجيب توفيق – الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٢٣م : ٤٥.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل :٢٥ .

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ١١.

الشعراء ولم تظهر فيه عبقريته وإنما وضع حافره على حافر الشعراء قبله فصار من المتكلفين، فيقول : " فممدوحه قد سفر فلاح منه هلال سعود، وبدا فكان غرة الموجود؛ وهو بحر مستعذب الورود، يعم كل الناس بالرفد؛ إلخ. يتصنع التورية والجناس ، ويختم شعره بالتاريخ كما يألف الناس"(١)، وهى معان قديمة ليس فيها ابتكار وردتها كل المشارب، وإن كنت أرى أن الأستاذ(أحمد أمين)بدا أكثر تكلفا فى أسلوبه من (صبري)حينما انتقده.

لكنهما أى(د/ طه حسين) والأستاذ (أحمد أمين) فى نهاية المطاف بعد تناولهما لشعر المديح (لإسماعيل صبري باشا)فى مقدمتيهما لديوانه، عادا فذكر أن من محاسن الرجل فى مدائحه تمتاز عن مدائح معاصريه بأشياء ذكرها (د/طه حسين)وهى : "خفة الروح، ورقة الحس، ودقة الخيال، وامتياز الطبع، وحدة المزاج، وارتفاع الذوق"(٢)، والمعنى ذاته ذكره الأستاذ (أحمد أمين)فقال : " إن كان لصبري فى هذا الصنف – الرسمي يعنى المديح – مزية فهو لطف ذوقه فى تخير لفظه، ورقة حسه فى صياغة وزنه وحلاوة جرسه "(٣)، وإن كنت أرى شبها كبيرا بين عبارة الناقدين، بل أقول إن اللاحق ذكر عبارة السابق مع تغيير الأسلوب قليلا.

ومن الموضوعات الظاهرة فى شعره والتى أثرت فيمن حوله شعره الوطني، حيث كان صاحب مواقف وطنية واضحة ومعروفة، ذكرها المقدمون لديوانه لعل من أبرزها ما ذكره (السماح عبد الله) فى مقدمته، وما ذكره أيضا الأستاذ(أحمد الزين)، وقد أشرت إلى ذلك من قبل عند الحديث عن سيرته، كما أشاد بهذا الشعر الوطني(د/طه حسين) فى مقدمته؛ مؤكدا على أن(صبري) كان يتمتع

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد أمين : ١٦.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ٨.

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد أمين : ١٧.

بحس وطني عالٍ وروح مصرية تسرى فى وجدانه تماما كالروح التى سرت فى وجدان الشرفاء من أمثال شوقى وحافظ[١]، تلك الروح المصرية الخفيفة الظل التى لا تخلو من الدعابة والفكاهة بعض الشئ حتى فى أحلك الظروف .

وحينما يشاهد الشاعر حادثة ما ويتأثر بها، فمهمة الشاعر نقل إحساسه وتأثيره فى المتلقى ليس المعاصر له فحسب، بل ينقلها بكل مؤثراتها إلى الأجيال القادمة، وكأنهم يرونها رأى العين، وهكذا ذكر لنا (د/ طه حسين) فى مقدمته معلقاً على مشهد دنشواي كما جاء فى شعر (صبري) قائلا " وقد انفطر قلب صبري كما انفطر قلوب المصرين جميعا لقصة (دنشواي) فأحس ألام الشعب إحساسا قويا، ونقل هذه الآلام كما وجدها الشعب للأجيال التى لم تشهد القصة ولم تألم كما ألم المعاصرون "[٢]وقد استشهد ببعض أبيات هذه القصيدة التى صور فيها (صبري)هذا الحادث البشع، وما كان من جانب المحتل الغاشم صاحب القانون الظالم، وقد رفع بهذه القصيدة إلى الخديوي(عباس) يقول فيها:(من الكامل)

وأقلتَ عثرةَ قريةٍ حكمَ الهوى فى أهلها وقضَى قضاءٌ أخْرقُ

إنْ أنَّ فيها بَائسٌ مما به وأَرَّنَ جاوَبه هناك مطوَّقُ

وَارَحْمَتى لجُناتِهم مَاذا جَنَوْا وقُضَاتِهم، ما عَاقَهم أن يَتَّقُوا

ما زال يُقْذِى كل عينٍ ما رأوا فيها ويُؤْذِى كل سَمْعٍ ما لَقُوا[٣]

وقال الدكتور(طه حسين)معلقا على هذه الأبيات بقوله : " من أجمل قصائده وأجزلها، وقِفْ عند ما فى هذه الأبيات من الصراحة والقصد معاً "[٤]وفيه

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ١٣.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ١٣.

(٣) الديوان : ٥٧.

(٤) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ١٣.

ما لا يخفى من نقد للمبنى والمعنى، والكشف عن جسارة الشاعر وقوة شخصيته وإبراز وطنيته التى لا يهاب الموت دونها، مما جعله يرفض أي متاع ومنصب حتى يظهر الله هذا الوطن على أعدائه، أو يهلك دونه، تلك هى الوطنية الحقة، وهو بخلاف ما عليه الشعراء الساسة أصحاب المصالح الذين يلغزون ويوارون ويلمحون ولا يصرحون، أما(صبري) فيصرح ويقصد ما قد صرح به، غير ملتفت لما قد يلحق به فى سبيل وطنه من هذا المحتل الغاشم.

وأما (أنطون الجميل)فيتطرق إلى قضية الوحدة الوطنية التى لا تفرق بين عرق ودين؛ فيبرزها فى شعر (صبري)، باعتبارها أحد أهم القضايا التى شغلت حيزا كبيرا فى شعر الرجل وحياته؛ لأنه كان فى موضع القيادة، إذ نجده يقول : " كان يغار على وحدة هذا الوطن العزيز، وينادى بتكاتف أبنائه، لا فرق فى ذلك فى العقيدة والمذهب"[(١)] ثم استشهد على ذلك ببيتين من شعر (صبري) يرثى بهما أحد الأقباط الوطنيين وهما : (من الرجز)

عينيَ فيكَ اليومَ قبطيةٌ تَروْى الأَسى عن مُسْلِمٍ موجعِ

ويأخذُ البرَّ وَآيَ الوَفا عن الكتاب الطيِّب المَشْرَعِ[(٢)]*

وقد استجلى هذه القضية أيضا الأستاذ (أحمد الزين)فى مقدمته حيث قد ذكر أن(صبري)كان صاحب بصيرة نافذة يتلمس بها نقاط الضعف التى من خلالها قد ينفخ فيها الأعداء أبواق الشر، ويثرون الفتن ، ويشعلون النار بين أبناء الوطن الواحد؛ ومن ثم فقد كان سباقا فى هذا المضمار يؤلف بين أبناء وطنه ويوحد بين المسلمين والأقباط مما جعل الأستاذ (أحمد الزين) يقول عنه: " ولست أغلو إن قلت : إن صبرياً –رحمه الله – كان أول داع إلى هذا المبدأ القويم– الوحدة الوطنية –، ثم جاء سعد – رحمه الله – فسار على أثره فى قيادة

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل :٢٣ .

(٢) الديوان : ٢١٩.

النهضة المصرية، وألف فى الجهاد بين الهلال والصليب، حتى آتى ثماره من قريب "[١]، ويذكر (الزين) بأنه قد حدثت بين (صبري) والأقباط بعض المراسلات والمساعي على المستوى الشخصي والإنساني التى من شأنها إخماد نار الفتنه بين المصريين وتوحيد الصف بين المسلمين والأقباط، مما حدا بـ(صبري) أن ينظم قصيدته الشهيرة التى خاطب فيها القبط قائلا: (من الخفيف)

خَفِفُوا من صِيَاحكم ليس فى مصـــ ـــر لأبنـــاءِ مصـــرَ مـــن أعـــداءِ

ديـــنُ عيســـى فـــيكم وديـــنُ أخيـــه (أحمـــــدٍ) يأمُرانِنَـــــا بالإخَـــــاءِ

مصـــرُ أنْـــتُم ونحـــنُ إلا إذا قـــا مـــت بتفريقِنـــا دواعـــي الشَّـــقَاءِ

مِصْـــرُ ملـــكٌ لنـــا إذا مـــا تَمَاسَكْـــ ـــنَا ، وإلا فمصـــرُ للغُرَبَـــاءِ[٢]*

فجميع الساسة الوطنين يدركون جيداً أن أعداء الوطن يلعبون على أوتار الخلاف الطائفي والمذهبي حيثما ينشأ الخلاف، وتدب الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، عندئذٍ يُهيأ لهم الظفر بالوطن والسيطرة على مقدراته، ومن ثم فالاهتمام بجمع الصف ولمّ الشمل بين شركاء الوطن الواحد، وخاصة حينما يكون ذلك من زعيم يملك الكلمة وله سطوة على المشاعر يكن لذلك تأثير قوى على الوحدة، وهذا أقرب الطرق إلى الاستقلال، وإن كان هناك من موازنة يجب أن نبرزها بين نقدي(أنطون)و(الزين)فى هذه القضية فـ (أنطون)يركز فى نقده على اللفظ والمعنى بينما الزين يركز على المعنى دون اللفظ .

ثم تحدث(أنطون الجميل)عن جانب آخر مهم من وطنيات(صبري)ألا وهو وصف أثار مصر ومقدراتها، وإبراز إعجابه الشديد بهذا الأمر، وهو ما يدعو إلى الافتخار بوطننا الغالي، حيث قد تناول فى هذا الصدد قصيدة (فرعون

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٣٤ .

(٢) الديوان : ١٨٢.

وقومه)وهى فى رأيه من أهم الوطنيات التى تثير فى كل مصري حب بلاده والافتخار بها، ومن ثم فهي جديرة أن يربى عليها النشء؛فتدرس لهم فى المدارس لتعزيز قيمة الوطن فى نفوسهم، حيث يقول فى ذلك : " أما قصيدة(فرعون وقومه) فجديرة بأن تدرس فى جميع المدارس، فقد وصفت أثار مصر ومفاخر المصريين وصفاً تتمشى مع العظمة فى جميع أجزائه، ولا يتمالك من يقرأها عن هزة إعجاب تدفعه إلى السير على آثار الأجداد فى طلب العلا "[1]، وهى قصيدة ذات شجن عاطفي، وحس عال ضاربة فى جذور الوطنية تعد انفرادة وطنية لـ(إسماعيل صبري)باشا يقول فى مطلعها: (من البسيط)

لا القومُ قومي ولا الأعوانُ أعواني إذا وَنَى يَوَم تَحْصِيل العُلا وانِي

ولستُ – إن توَيِّدني فَرَاعِنَةٌ منكم – بفرعونَ عالِي العرشِ

ولستُ جبارَ ذَا الوادى إذَا سلمتْ جِبالَه تلك من غاراتِ أعْوانِي

لا تقربُوا النيلَ إن لم تعملوا عملًا فماؤُهُ العذبُ لم يخلقْ لِكَسْلانِ

ردوا المجرَّةَ كدَّاً دُونَ مَوْرِدِهِ أو فاطْلُبُوا غَيْرَه رِيًّا لظمآنِ

وابنُوا كَمَا بَنَتِ الأجيالُ قبلكُمُ لا تتركوا بعْدكم فخراً لإنسانِ[2]*

وهكذا رأينا صبري فى أبيات هذه القصيدة التى اختارها (أنطون الجميل)فى مقدمته ليدلل على وطنية (صبري)وأنه كان يستحث بنى قومه بكل معانى القوة فى المحافظة على مقدرات الوطن والذبِّ عن حياضه بكل ما أتوا من قوة، والوقوف صفا واحدا ضد أعدائه، لا يعرفون فى سبيل ذلك مستحيلا، مستدعيا تراتيل من التراث موظفا إياها بكل براعة وإتقان .

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل :٢٣ .

(٢) الديوان : ١٨٢.

والقصيدة ذاتها ذكرها (الأستاذ أحمد الزين)فى مقدمته متحدثا عنها أيضا، حيث يراها من أروع الوطنيات التى قيلت فى العصر الحديث، إذ إنها فى حسن سبكها، وبراعة تصويرها لعظمة مصر القديمة، وقوة تأثيرها فى متلقيها لا تقل شأنا عن كونها رمزاً من رموزها وأثراً من آثارها الخالدة على مر الأيام والسنون، حيث يقول عنها: " ولم أر شعوراً بعظمة مصر القديمة، ولا تصويراً لماضيها البعيد كأنه حاضر قريب، ولا استحثاثاً للخلف على التشبيه بالسلف؛ لم أر ذلك كله متمثلاً فى شعر شاعر مثلما أراه فى قصيدته الخالدة التى قالها على لسان فرعون يخاطب شعبه؛ فقد أودع فيها من عناصر القوة والخلود، ما يخيل لك أنه قصد بها إلى منافسة آثار الجدود "[(١)]، وتلك العظمة التى طالما كان ينادي بها (صبري) فى شعره مستحثا لبنى جلدته أن يلتفتوا إليها ليصنعوا مجدا هم به أحق ومن صار على الدرب وصل، وقد أبرز لنا ذلك (أنطون الجميل) فى مقدمته متحدثا عن اعتداد (صبري) بمفاخر وطنه مصر رجالا وعتادا، بنية وبنياناً مستشهداً عن ذلك بقوله : (من البسيط)

مستنجداً من بنى مصرٍ إلى شممٍ إذا رأوا ثُلْمةً فى حوضهم جبروا[(١)] جَبَرُوا[(٢)]

ولا يخفى ما فى هذا البيت من الإشادة بهمم المصريين العالية التى لا يبذلونها فى سبيل وطنهم وإخوانهم فحسب، بل كل ما يلوذ بهم يهبون لنجدته وحمايته، إنها مصر أم الدنا، والحصن والأمن، والملاذ الآمن لكل من يستنجد بها إلى يوم القيامة .

ومن الموضوعات الشعرية التى أبرزها المقدمون لديوان (صبري)والتى ظهرت فى شعره وكان لها حضور فى الميزان النقدي الفكاهة وتلك الروح

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٣٤ .
(٢) الديوان : ٧٩.

المصرية التى تتحلى بالدعابة حتى فى أحلك الظروف وأصعبها وأشدها عتوا، إذ على الرغم من شخصية(صبري)الجادة، ونفسه المترعة بالهموم والأحزان، لكنه كأي مصري يرسم البسمة على شفاه الآخرين، لكنها سهاما موجهة إليهم إصلاحا وتهذيباً، إذ نجد(د/ طه حسين)يوضح لنا ذلك قائلا : " وقد تفكه (صبري) فى شعره بعض الشيء، ولكنه لم يعرف الفكاهة الخالصة التى تنتهى إلى الضحك، لا تتجاوزه إلى شئ آخر، وإنما عرف هذه الفكاهة التى تصدر عن النفوس المحزونة الكئيبة، فتدفع إلى الضحك وإلى الإغراق فيه، ولكنها تعقب مرارة مستقرة مؤلمة، وهى إلى أن تكون سهاما نافذة مهلكة أقرب منها إلى أى شئ آخر"[(١)] وقد استدل على ذلك بمقطوعات(عام الكف) وهى مقطوعات شعرية طريفة نشرت فى المؤيد بأسماء مستعارة، وفيها عرض (صبري) بـ(محمد المويلحي) الذى تعرض لضربة كف على وجهه من (محمد نشأت بك) على ملأ من الناس فى حانة (دركوس) بالقاهرة على إثر سبه لأبيه"[(٢)].

الشاهد أن (الدكتور/ طه حسين)وجه القارئ لديوان (صبري)أن يقرأ تلك المقطوعات، وأن يمعن النظر فى بيت منها وهو :(من الوافر)

وإنْ أحدٌ تَعَرَّضَ لي بسوءٍ وقفت وراء صُدْغِي واخْتَفَيْتُ[(٣)]*

وهى صورة مبتكرة فى منتهى السخرية والتهكم مضحكة مبكية، أراد منها أن(المويلحي)لم يعد لديه من الإحساس، فقد أصيب بالتبلد، حيث جعل من خده ساترا له يتلقى الضربات عنه، لقد سكت عمن أساء إليه بتعرض صدغه، وكأني به يريد توجه رسالة إلى المجتمع من خلال(المويلحي)بأن يأبى الضيم ولا يصم الأذان عمن سلب كرامته بل يجب عليه أن يثور حتى يسترد حقه ويحقق كرامته؛

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ١٢.

(٢) راجع هامش الديوان : ٩٤.

(٣) الديوان : ٩٩.

ومن ثم نجد (د /طه حسين)يواصل الحديث عن شعر الفكاهة لدى (صبري) فيشير إلى أن شعره السياسي لا يكاد يخلو من الفكاهة المرة تارة والدعابة الحلوة أخرى شأنه فى ذلك شأن جيله من الوطنيين أمثال (شوقى) و(حافظ)، شأن جميع المصريين الذين يخلطون الجد بالهزل، ففى أشد الظروف وأحلكها يسخرون ويتندرون، ومن ثم نجده يوجه القارئ فى إطار ذلك أن يقرأ المقطوعات التى قالها (صبري) على إثر استقالة وزارة (مصطفى باشا فهمي) ، والتى نظمها على ألسنة الوزارات وهى تستقبل من أرسل إليها من الوزراء والوكلاء[١]، والتى يقول فى إحداهن: (من الطويل)

عجبتُ لهم قالوا (سَقَطْتَ)ومن يكن مكانك يأْمَنْ من سقوطٍ ويسلمِ
فأَنْتَ امرؤٌ أَلْصَقْتَ نفسكَ بالثَّرى وحرَّمتَ خوْفَ الذلِ ما لم يحرمِ
فلو أسْقَطُوا من حيثُ أنت زجاجةً على الصَّخْرِ لِمْ تُصْدَعْ ولَمْ تتحطمِ[٢]*

وقد ذكر الأبيات السابقة الناقدان (د/ شوقى ضيف)، و(عمر الدسوقي) وعلقا عليها بمثل ما جاء فى مقدمة (د /طه حسين)، فقال (د /شوقى ضيف) : " ومن تمام الروح المصرية الخفيفة فى شعر(صبري)أننا نجد عنده الدعابة الخفيفة والتهكم الساخر اللذين عرف بهما المصريون على طول عصورهم فى تنكيتهم وتبكيتهم، فى أدبهم العامي والعربي الفصيح جميعاً؛ إذ تتأصل الفكاهة الحلوة والسخرية المرة فى نفوسهم؛ حتى ليصبحان جوهراً ثابتاً فى أمزجتهم وطباعهم، وهو جوهر يتألق فى شعر(صبري)، فتارة يكون دعابة بسيطة، وتارة يكون نقداً ساخراً وهجاءً لاذعاً على نحو ما نرى فى الأبيات التى نظمها فى (مصطفى فهمي) حين سَقَطَتْ وزارته فى سنة ١٩٠٨م مصوراً مدى ولائه للإنجليز، وكيف

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ١٣.
(٢) الديوان : ١٤٧.

يصدر فى حكمه عن مشيئتهم"، وقال أيضاً (عمر الدسوقي) فى سياق الحديث عنها "[1]، فما أشبه الليلة بالبارحة إذ لا يبعد تعليق (عمر الدسوقي) على الأبيات السابقة عن سابقيه، وهذا نص كلامه" وسياسات صبري من قبيل الفكاهة والنكتة، لا تعرف له مبدءاً يدين به، أو حزباً ينتمي إليه، وإن كانت فيها سخرية مرة أحيانا وتهكم لاذع بهؤلاء الذين مالئوا الاحتلال، أو لم يخلصوا لأمتهم فيما ائتمنهم عليه من عمل أو وزارة، وهى أشبه بالصورة الهزلية الكاريكاتيرية منها بالصورة الحقيقية، خذ مثلا قوله فى (مصطفى فهمي) :وهو من عرفت فيما سبق نصيرا قويا للمحتل، وعدوا لرغبات الأمة، وأمانيها الوطنية، ولا أدل على ذلك من أنه مكث ثلاث عشرة سنة، وعميد الاحتلال راض عنه؛ لأنه كان أشد منه حماسة فى توطيد أقدام الانجليز بمصر "[2] وواضح جداً أن النقاد تأثروا بمقدمة (د /طه حسين)فأخذوا من كلامه دون الإشارة إليه، وهذا ما يبرز العمل التقديمي وخطورته على من يتناول الديوان بعد ذلك دراسة ونقداً .

وهاهو (أحمد الزين)يتحدث عن فكاهة (صبري)ونوادره المشوبة بالحكمة وما فى ذلك من إصلاح للوطن؛ إذ نجده يصف هذا الجانب فى مقدمته قائلا: " كان طريف الفكاهة، حلو النادرة، حاضر النكتة، يرسلها مهذبة مبتكرة في لين وحسن أداء وقرب مأخذ وصمت من الجلساء، متخيرا لها المناسبة القوية فتزيد قوة مناسبتها قوة على قوتها، وتتفتح لها النفوس تفتُّح الأزهار لقطر السحاب،

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر– د / شوقى ضيف – دار المعارف – الطبعة الثالثة عشرة د.ت : ٩٨.

(٢) فى الأدب العربى الحديث– عمر الدسوقي – دار الفكر العربي – الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م: ٣٧٩/٢.

وتتهادى بها مجالس العلية، وتتنافس فى روايتها رجال العلم والأدب "[١]، وشعر الفكاهة فى ديوان(صبري) كثيرٌ، والروح المصرية عليه طاغيةٌ .

ومن الموضوعات التى جاءت فى مقدمات ديوان(صبري)الشكوى والتبرم بالحياة حيث ذكر(أحمد الزين) بأنه كان رجلًا لا يكثر الشكوى حيث قال عنه: "كان شديد الضن بحزمه وصبره ورجولته على الشكوى، فما سمعته شكا ألم العلة وهى تذبح صدره، ولا ظلم ذوى قرباه وهم يجحدون إحسانه وبره، ولا عقوق بعض الأصدقاء وهم يقابلون بالتنكر والغدر وفاءه ووده؛ ولا تجنى الجهلة من الرؤساء وهم يحسدون فضله وكفايته؛ بل لم تكن تلقاه إلا باسم الثغر مشرق البشر منبسط المحيا، على قسماته شعاع من البشاشة تتفتح له القلوب المغلقة، وتنبسط له الأسارير المنقبضة "[٢]، لكن تواضعه مع علو منزلته جعله يحتقر الحياة، شديد التبرم بها،لا يعبأ بها، ولا تغره زينتها، يتمنى مفارقة الحياة والخلود إلى الراحة منها، وقد ذكر الأستاذ (أحمد الزين) من شعره ما يدل على هذه الشكوى، وهو قوله : (من الطويل)

مقَابرُ من ماتوا مواطنُ راحةٍ فلا تكُ إثْرِ الهَالكين جَزُوعَا

وإن تبك ميْتاً ضمه القبرُ فادَّخِرْ لميْتٍ على قيدِ الحياةِ دُمُوعا[٣]*

لقد أوضح (أحمد الزين) أن شكوى صبري من الحياة ليس كفراً بها، أو لأنه قد اعتاد الشكوى، وإنما جاء ذلك منه لصغر الحياة فى عينيه، فما الحياة الدنيا فى نظره سوى معبر يمر به، وإنما المستقر فى دار البقاء، مما جعله يعيش عيشة ملائكية، ومن ثم فإنه لا يقبل الضيم ويأبى الإهانة، فلا شئ عنده

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين : ٢٩ –٣٠.

(٢) المصدر السابق : ٢٩ .

(٣) الديوان : ١٩٠.

أغلى من الكرامة، حيث أورد (أحمد الزين) من شعره ما يدل على ذلك: (مخلع البسيط)

لَكِسرة من رَغِيفِ خُبْزٍ تُؤدَمُ بالملح والكرامهْ
أَشْهَى إلى الحُر مِنْ طِعام يُؤْدَم بالشهد والملامهْ[1]*

فعلى الرغم من الفضاء الفسيح الذى كان يعيش فيه (صبري) وما حققه من مناصب عليا وما ناله من شهرة تجعله بين الناس إلا أن عفته وكبرياءه جعلاه يعيش ويكأنه وحيداً غريباً، مما جعل(د/طه حسين) يذكر فى مقدمته أنه كان يعيش فى عزلة حيث قد شكا ذلك فى شعره قائلا : (من الخفيف)

أين(صبري)؟من يذكر اليومَ (صبري)؟ بعد أعوام عزلة وشهور
اسألوا الشِّعرَ فهو أعلم هلا أكلته الأسماكُ طَيَّ بحور؟[2]*

ولهذا نرى(أنطون الجميل) يعرض لنا فلسفة(صبري) فى الحياة ونظرته للموت، حيث يقول : إنه يرى الموت خير غائب ينتظر؛ فيرحب به ترحاب المطمئن إليه قائلا فى ذلك : (مخلع البسيط)

يا موتُ هأنذا فَخُذ ما أبقت الأيام منِّى
بينى وبينك خطوةٌ إن تخطوها فرجت عنى[3]*

وتارة يرسل(صبري)حكمته فى الموت قائلا :(من الخفيف)

إن سَئِمتَ الحياة فارجع إلى الأر ض تنم آمناً من الأوصابِ
تلك أم أحنى عليك من الأم التى خلفتك للأتعابِ
لا تخفْ فالمماتُ ليس بماحٍ منك إلا ما تشتك من عذابِ

(١) الديوان : ١٤٤.
(٢) الديوان : ١٦٣.
(٣) الديوان : ١٩١.

وحيــاةُ المــرءِ اغتــرابٌ فــإن مــا تَ فقــد عــادَ ســالماً للتــرابِ[١]*

فيرى الحياة غريبة وأننا فيها غرباء، وأن الملاذ الآمن هو العودة إلى الأرض التى منها خلقنا وإليها نعود .

وهكذا بعد أن تتبعنا المضامين الموضوعية التى عرض لها المقدمون فى ديوان (صبري) وجدناهم قد ذكروا بعضها، ولم يتعرضوا للبعض، كالغزل والرثاء، سوى مقطوعة واحدة رثى فيها الزعيم مصطفى كامل، والتى قد نعدها من الوطنيات، وكذا لم يتعرضوا للتهاني والتقريظات.

ثالثاً : المضامين الفنية فى مقدمات ديوان إسماعيل صبري

اتفق المقدمون لديوان(إسماعيل صبري)على أنه من الرعيل الأول من الشعراء المتقنين المجودين لا سيما أنه كان ناقدا بطبعه، إذ نجد الناقد الكبير(أحمد أمين) يقول فى هذا الصدد عند التقديم له " لقد استوقف نظري بيتان له: هما " [٢]:(من البسيط)

شعرُ الفتى عرضه الثانى فأحر به ألا يشــوه بالأقــذار والوَضَــر[٣]

فانقــد كلامــكَ قبــل الناقــدين تَحُــط ثاني النفيسينِ من لغو ومن هَذَر[٤]*

لقد كان(صبري)ناقداً بطبعه يرى أن الشعر مثل العرض، إذ الشاعر فى نظره ما يخشى على شعره خشيته على عرضه، يحافظ عليه لا يدنسه، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هل حافظ (صبري)على ذلك فى شعره أم لا؟ ويجيب لنا

(١) الديوان : ١٩٠.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد أمين : ١٥.

(٣) الوضر : الوسخ الدسم من اللبن وغسالة السقاء والقصعة ونحوهما– لسان العرب – لابن منظور–دار صادر – بيروت– ط٣– ١٤١٤هـ : ٥/ ٢٨٤ ، ويقصد به هنا الرديء من الشعر – راجع: هامش الديوان : ٦٠.

(٤) الديوان : ٦٠.

عن هذا السؤال الأستاذ (أحمد أمين)حيث يقول فى مقدمته : " فقد أحسست بعد قراءة الديوان بأنه قد التزم هذه النصيحة إلى أقصى غاية، وطبقها على نفسه فى شعره إلى أبعد مدى – فكان يغار على شعره غيرته على عرضه "[١]وهذا الذى دعا (صبري)إلى التمهل فى صوغ شعره والتمهل فى تدبيجه؛ ولهذا كان (صبري) مقلاً فى نتاجه الشعرى؛ لإيمانه الشديد بـ " أن درة واحدة قد تساوى آلاف الدنانير، وملايين الدراهم، وكلمة واحدة قد تفوق خطبا طويلة وكتباً كثيرة"[٢] .

لقد كان (صبري)كالجوهري الذى يؤلف بين الدرر وينظمها فى عقد جميل، فيجهد نفسه فى تنقيح شعره، يزيد وينقص، ويغير ويبدل، ويعرض ذلك على موازين النقد فإذا استوثق منه عرضه على الناس وبات آمناً على عرضه، فعلى الرغم من مسلكه السهل فى نظم الشعر إلا أنه كان– كما يقول عنه (أنطون الجميل):" يصوغه بصعوبة؛ فكان جهاده الشعرى طويلاً شاقا، وهو يجد فى تجديد مجهوده، كان يستحث فنه للاستزادة من الإتقان وجمال الفن، وهو سر عظمة المفتن: يدرك المجد والرفعة، ويفوز برضا الناس، ولكنه لا ينعم برضا نفسه، ولا يفوز بارتياح خاطره، كان الجميع يرضون عن شعر صبري إلا صبري"[٣]، فقد اعترف الجميع له بالإمامة فى دولة النظم على قلة نظمه صاروا يلقبونه بأستاذ الشعراء، وشيخهم، وإمامهم، ورئيسهم .

ورغم شهادتهم جميعا بجودة شعره من الناحية الفنية، فقد ذكروا الأطوار التى مر بها شعره، فقالوا أنه مر بطورين مختلفين الأول: وهو شعر البدايات الأولى حيث قد بدأ محافظاً يترسم خطا السابقين، وفى ذلك يقول(د/ طه حسين)عنه إنك ترى " فتى يحاول قرض الشعر على النحو الذى تعلم الناس من

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد أمين : ١٥.

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل : ٢٠.

قبله عليه قرض الشعر؛ يقول فى الموضوعات التى كان الناس يقولون فيها فى مدح (الخديوي إسماعيل)، وفى مدح بعض الأشخاص الذين كان يراهم فى سنه أهلا للمدح"[١]فقد كانت بدايات(صبري)مع المديح وقد بدا عليه التكلف والإفراط فى استخدام المحسنات البديعية فى هذه المرحلة، كما أن قصائد المديح نظمها على المنهج القديم من بداية بالغزل والتشبيب، واختتام بعض المقطوعات بالتاريخ هكذا ذكر (أحمد الزين)فى مقدمته لكنه صار يتلمس له الأعذار بعد أن عرض بعض القصائد التى قالها(صبري)فى سن السادسة عشرة من عمره فقال : " وإن الناقد المنصف لينظر فى هذه القصائد التى قالها فى المرحلة الأولى من حياته نظرة إعجاب ودهش، لا من جهة فنها الشعرى، ولكن من جهة سن قائلها والعصر الذى قيلت فيه، فقد قالها فى سن من قدر فيها على أن يبين عما فى نفسه بعض الإبانة عد منشئا، وفى عصر من نال الشهادات الأولى فى أواخر شبابه عد نجيبا"[٢]هذا من جانب السن، كما ذكر عذرا آخر هو شيوع ذلك فى عصره فقال: " وقد كان مقياس جودة الشعر فى ذلك العهد ما يشتمل عليه من المحسنات البديعية : كالتجنيس، والمطابقة ، والمقابلة، وأشباهها" [٣]، كما التمس (د /طه حسين)أيضا على تكلفه وتصنعه فى استخدام المحسنات البديعية فقال : " ولكنك تحس – على كل حال – جهد الفتى واجتهاده، تحس التلميذ الذى يكلف نفسه المشقة فى التحصيل، ويريد أن يظفر منه بأعظم حظ ممكن؛ ولو أنك لم تحس فى هذا الشعر إلا هذا الجهد والعناء، لما كان له خطر، ولما كنت خليقا أن تمضى فى قراءته"[٤]، وإن كنت أرى المجاملة واضحة فى كلام هذين

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ٧.
(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٧ ٣.
(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٧ ٣.
(٤) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ٨.

الناقدين الكبيرين المقدمان لديوان (صبري)؛ ولأن هناك من النقاد من أخذ عليهما هذه المجاملة، وكان لهم رأى آخر من هؤلاء النقاد:(أحمد محرم) إذ نجده يقول فى هذا الصدد: " ولم يكن شعر (صبري)أول عهده بالأدب يبشر بشاعر مقتدر يحدث أثراً يذكر فى عالم الشعر"[١]،وكذلك كان رأى (عمر الدسوقي) حيث يقول: " وأرى أن (صبري) على الرغم مما أسبغ عليه معاصروه من ثناء ومدح، وما أطروا به شعره، ولا سيما الذى قاله بعد عودته من فرنسا، وعلى الرغم من أنهم كانوا يلقبونه تارة بالرئيس، وتارة بشيخ الشعراء، ومن أنهم أثنوا على صدق عاطفته، ودقة معانيه ورقتها لم يأت بجديد يذكر فى عالم الشعر، وأنه فهم الشعر كما كان يفهمه على الليثى، وإن كان أجود منه لفظا، وأحسن معنى، وأمتن ديباجة، وإن شعر إسماعيل صبري امتداد لمدرسة القدماء، ولا أستطيع أن أقول : إنه امتداد للبارودي، فشتان ما بينهما"[٢]، وأرى فى ذلك تحاملاً أيضا على شاعر فى بداياته، وما ينبغي على الناقد أن يكون وسطاً، والوسط من شأنه البناء وليس الهدم، فليست المجاملة مطلوبة وليس التحامل مطلوباً، وأعود لأضع بين يدي القارئ طرفي هذه المعادلة، فهذا رأى الأستاذ(أحمد الزين)أحد المقدمين لديوان (صبري)الأعذار فى بداياته فيقول: " فقد كان شعر (صبري) فى بداية حياته ملائما كل الملاءمة للعصر الذى قيل فيه، سواء أكان فى فنه، أم فى روحه واتجاهه"[٣]وهذا رأى (عمر الدسوقي) أحد الدارسين لشعر (صبري) فيقول فى هذه البدايات الأولى : " ولعل الذى جني على صبري هو أنه بدأ حياته الشعرية مادحاً "[٤]، ولهذا نقول بدون أدنى مجاملة ولا تحامل على شعر(صبري)

(١) مقال فى مجلة أبوللو – أحمد محرم – نشر عام ١٩٣٤م : ص ١٠٤.

(٢) فى الأدب الحديث : ٣٤٨/٢ .

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٧ ٣.

(٤) فى الأدب الحديث : ٣٤٨/٢ .

فى هذه المرحلة وهو فى السادسة عشرة من عمره أو أدنى من ذلك أنه لا يضير على فتى فى مثل هذه السن المبكرة أن يبدأ مقلداً متكلفاً ثم بعد ذلك تنمو موهبته وتتفتح ويبدأ فى رسم طريق مختلف يميزه عن غيره .

أما المرحلة الثانية فيذكر الأستاذ(أحمد الزين)فى مقدمته أن (صبري) بدأ بعد المرحلة الأولى فى نهاية العقد الثانى من عمره أن تصقل موهبته وتتهذب شاعريته ويبلغ أشده؛ وذلك بفضل قراءته لدواوين الشعراء الفحول المتقدمين أمثال(البحتري)الذى أعجب بشعره أشد الإعجاب مما دعاه إلى التأثر به ما جعل الأستاذ (الزين)يقول بوجه الشبه بين شعريهما فى وضوح المعانى، وعذوبة الألفاظ وحلاوتها، ثم عرض لهما قصيدتين ليوضح وجه الشبه بينهما الأولى لـ(صبري)التى قالها فى تهنئة (الخديوي عباس) الثانى بعيد الفطر[١] يقول فى مطلعها: (من الكامل)

بِعــلَاكَ يَخْتَــالُ الزمــان تبختــراً وبقـدرك الأسـمى يتيـه تكبُّـراً[٢]*

وأما الثانية للبحتري التى مطلعها:(من الكامل)

أُخْفِى هَوَى لَكَ فى الضُلُوع وأُظهر وأُلام فـى كمـد عليـك وأُعـذر[٣]*

ثم ذكر أن شعر (صبري)يمتاز فى هذه المرحلة بالعاطفة القوية الصادقة[٤] ولعلنا نجد ذلك فى الغزل والرثاء والوطنيات، كما امتاز بعدم التكلف فى المعانى والألفاظ، ومن ثم فقد آثر فى هذه المرحلة المقطعات القصار .

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٩ ٣.

(٢) الديوان : ٤٥.

(٣) ديوان البحتري : ١/ ١١،مطلع قصيدة له يمدح فيها المتوكل على الله، ويذكر خروجه يوم الفطر .

(٤) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٩ ٣.

ومن اللمحات النقدية التى تحدث عنها المقدمون لديوان (صبري)تلك العوامل الدافعة لشعره، ومن أبرز المقدمين الذين تحدثوا عن هذا الأمر(أنطون الجميل) الذى ذكر أن شعر (صبري) تحركه ثلاثة عوامل أو أن هذه العوامل الثلاث يصدر شعره عنها الفكرة الأولى الحس والشعور والثانية الحكمة والثالثة الحماسة، فالفكرة الأولى تجلت فيما نظمه فى الحب، والثانية تجلت فيما نظمه فى الموت، والثالثة تجلت فيما نظمه فى الوطن؛ فنجده يتحدث عن هذه العوامل الثلاث بعد أن ذكر نماذج من شعر الرجل موضحا فيها العواطف التى صدرت عن تلك العوامل فقال : "هذه العوامل الثلاث التى أنطقته بالشعر، وهى إذا رسخ عامل واحد منها فى صدر إنسان صيره شاعرًا، فكيف إذا اجتمعت الثلاثة لواحد "[(١)]، فالعاطفة بالنسبة للشعر كالنية للعبادات فإذا صلحت النية صلحت العبادة، وإذا صلحت العاطفة صلحت المعانى والمباني؛ ومن ثم وجدناه يقول عن أثر تلك العوامل الباعثة لعواطفه : " أما أثر تلك العوامل فى شعره فكان الأثر الطيب، فإنها أكسبته من روعة المعانى ورقة العواطف جمالا زاد سناه حسن الديباجة وفصاحة اللفظ"[(٢)].

والمؤثرة فى التجربة الشعرية إلى الحديث عن العاطفة وقوتها، حيث قد أجمع المقدمون لديوان (صبري) على أنه لم يقل الشعر من أجل التكسب، بل نجد (أنطون الجميل)يشبهه بـ(امرئ القيس)؛ لكونه لم يقل الشعر رغبة ولا رهبة، وإنما قاله عن عاطفة صادقة نابعة من أعماق نفسه كقطرة الندى، فيخرجه ألفاظا صافية كحبة اللؤلؤ[(٣)].

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل : ٢٤.

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل : ٢٥.

وقد لاحظ الأستاذ (أحمد أمين)أن شعر (صبري) الغنائي قد صدر منه عن عاطفة قوية، وخاصة تلك المقطعات القصار التى بثها لوعته، وغنى فيها نفسه، ولقد نظمها متأثرة بها نفسه، فاستطاع بجدارة من خلال عاطفته القوية أن ينقل هذا التأثر إلى المتلقى، وإننا لنرى هذا جليا من نبضات هذا النص الذى اختاره الأستاذ(أمين) من شعر(صبري)والذى يصف فيه مقر الغزال؛ فيقول : (من الخفيف)

يا مَقَرَّ الغَزَالِ قد صَحَّ عندي الـ ـيوم أنى اقتحمت منك عرينَا
رَابَنِي فيكَ ما أرى من عيونٍ باتَ يغرى بها السودُ عُيونَا
وضلوع جاءتكَ وهى خوالٍ ثم عادت ملآى هَوًى وشجونَا
ما الذى يبتغى غَزَالُك منى بعد كوني عبداً له أَنْ أَكونَا
كلما قُلْتُ قد أَبَلَّ فؤادي ساوَرَتْه الذِّكرى فجُنَّ جنونَا[1]*

وإنما اختار هذا النموذج من نماذج عدة تقطر رقة وعذوبة، قد انبعثت من عاطفة قوية جياشة، فنحن أمام وصف رائع لمقر الغزال، ولشدة ما فيها من شجن لا يمكنا أن نحدد هل ينبعث الجمال من الغزال أم من المكان الذى يأوي إليه، ومن ثم لا نستطيع إلا أن نسلم ببراعة (صبري)ومقدرته الفنية العالية، مما جعل الأستاذ (أمين)أن يعلق على الأبيات السالفة الذكر وغيرها من المقطوعات التى أشار إليها ولم يذكرها مبينا دلائل قوتها بقوله : " تمتاز هذه المقطوعات القصار بصدق العاطفة، حتى ليبكى السامع لبكاه، ويأنف لأنفته، ثم بدقة المعنى ورقته حتى كأنه مناغاة أطيار، أو مناغمة أوتار، وأخيرا بعذوبة اللفظ، فهو سهل الورود على الطبع، حسن الوقع على السمع"[2].

(١) الديوان : ١٢٣.
(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد أمين : ١٧.

ولقد ذكر(أنطون الجميل) فى مقدمته أن عاطفة الحب كانت عند (صبري) من أقوى العواطف ؛ لأنها جاءت أساسًا لكل عاطفة نابعة من وجدانه حتى عاطفة البغض، حيث كان (صبري)كالنحلة يجمع الرحيق من كل مكان ويخرجه شراباً مختلف ألوانه فيه إمتاع لكل الأذواق، وهكذا جاءت عاطفته محملة بكل معنى جميل أساسها الحب والود والإخلاص، ثم أخذ فى ذكر أمثلة مختلفة المشارب لهذه العاطفة القوية من شعر(صبري)، فذكر على سبيل المثال أنها جاءت غزلًا عفيفًا طاهرًا فى مثل قوله : (من البسيط)

يا شوقُ رفقاً بأضلاعٍ عَصَفَتْ بها فالقلبُ يَخْفِقُ ذعراً فى حنَايَاهَا(١)

كما ذكر أنها جاءت أيضاً فى شعره ذكريات عهدٍ جميل محملة بالأشواق فى قوله: (من الكامل)

تُمسى تذكِّرُنَا الشبابَ وعَهْدَهُ هيفاء مُرهفةُ القَوَامِ فنذكُرُ

تَثِبُ القلوبُ إلى الرؤوسِ إذا بَدتَ وتُطِلُّ من حَدَقِ العُيُونِ وتنظرُ(٢)*

وذكر أنها جاءت ذكريات مؤلمة كما جاء فى قوله : (من البسيط)

أقصر فؤادي فما الذكرى بنافعةٍ ولا بشافعةٍ فى رَدِّ ما كانا

سَلَا الفُؤَادُ الذى شاطرته زمناً حَمْلَ الصبابةِ فاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنا(٣)*

وقد جاءت عتابا وحنينا، فقال : (من الكامل)

هل عند ذاك السِّرْبِ أَنَّا بعده فى الحيِّ من آماقنا نتدفقُ

أوْ أنَّ أضلُعَنا على ما استُودِعتْ يوم الفراق من الجوى تتحرَّقُ(٤)*

(١) الديوان: ١٢٣.

(٢) الديوان : ١١١.

(٣) الديوان : ١١٦.

(٤) الديوان : ٥٤.

أو كانت وداداً خالصا كما قال :(من السريع)

يـا مـن سَـقَانِي الجَـمَّ مـن وُدِّه هـــذا ودادي كلّـــه فـــاكرَع[١]

وما أجمل الوفاء إذا كان باعثا على العفو والصفح وهكذا جاءت العاطفة لدى (صبري) وفاء كما جاء فى قوله :(من الطويل)

إذَا خَـــانَنَي خِـــلٌّ قـــديمٌ وَعَقَّنـــي وَفَوَّقـتُ يومـاً فـى مَقَاتِلِـهِ سَـهْمِي

تَعَـرَّض طيـفُ الـودِّ بينـي وبينـه فَكَسَّرَ سهمي فانْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِى[٢]*

أما (أحمد الزين)فقد ذكر أن من أقوى التجارب عاطفة عند (صبري)، تجربته فى رثاء الزعيم (مصطفى كامل)، فقد ذكر (الزين)أنه كان من المحبين المعجبين والمؤيدين له، ومن دلائل قوة عاطفتها وصدقها ما ذكره من قوة نظمها ورقة ألفاظها وحسن سبكها، وما جعلها تتفوق على الفن ذاته، وهو ما جعل (صبري) يبكى على قبر الزعيم حين إنشادها وما أثاره فيمن سمعها وهى :(من الطويل)

أجِلْ أنـا مـنْ أرضـاك خِـلّاً موافيـاً ويرضيك فى الباكين لو كنت واعيا

وقلبـي فيك المـوردُ العذبُ لـم يـزلْ كمـا ذُقْـت منـه الحُـبُّ والـوُدَّ صـافيا

أَلا عَلِّلانـــي بالتَّعـــازي وأقنعـــا فـــؤادي أن يرضـــى بهـــنّ تعازيـــا

وإلّا أعينـــاني علـــى النـــوح والبكـــا فشـــأنكما شـــأني ومـــا بكمـــا بيـــا

ومـــا نـــافعى أن تبكيـــا غيـــر أَنّنِـــى أحـــبُّ دمـــوع البـــرِّ والمـــرءَ وافيـــا

أيـا (مصـطفى) تـالله نومـك رَابَنـا أَمِثْلُـك يرضـى أن ينـام الليـاليـا؟

تكلـــم فـــإن القـــومَ حولـــك أطرقـــوا وقل يا خطيبَ الحي رأيك عاليا[٣]*

(١) الديوان : ٢١٩.

(٢) الديوان : ١٤٤.

(٣) الديوان : ٢١٣.

ومع ما نجده من دلائل لعاطفة قوية فإننا نرى من يعارض ذلك من الدارسين لشعر (صبري)كـ(عمر الدسوقي)ويقول عنه أن جله شعر مناسبات؛ لذا جاء فاتر العاطفة حتى شعر الرثاء المصنف بأنه فن العاطفة الأول، فنجده يقول فيه: " ولا تشعر فى رثائه بلوعة الأسى وحرقة العاطفة، والتفجع والجزع، شأن الشعراء المرهفى الحس، الجياشي العواطف إلا نادراً"(١).

أما الألفاظ فى شعر(صبري)فقد تحدث عنها المقدمون لديوانه، فذكروا أنها تتميز بالعذوبة والسهلة واليسر، فيذكر(د/ طه حسين)أن شعر (صبري)من ناحية الألفاظ والأساليب لم يكن على مستوى واحد، وإنما يحدث الرقى كلما اشتد عوده وتقدم فى السن لوحظ هذا التقدم والرقى فى شعره، فيقول عن ذلك : " وامض فى قراءة هذا الشعر فستراه يرقى فى لفظه وأسلوبه وصناعته من عام إلى عام"(٢)، لكنه عاد منتقداً له بعض الشيء فى ألفاظه التى قد لا تتكافأ مع روعة تصويره للعزلة المؤلمة التى اجتاحت نفسه، حينما أحس بأن غيره ممن هو دونه فى المستوى يعتلى أعلى المناصب، ولكن يأبى حياؤه أن يسأل ذلك فضاقت نفسه بذلك ذرعاً، فباح بذلك فى بيتين غاية فى روعة التصوير لكنهما دون المستوى فى الألفاظ والأساليب وهما: (من الخفيف)

أيــن (صــبري)؟ مــن يــذكر اليــوم بعــد أعــوامِ عزلــةٍ وشــهورِ

اســألوا الشِّــعْرَ فهــو أعلــم هــلّا أكلتــه الأســماكُ طــيّ بحــورِ؟(٣)*

وأما الأستاذ(أحمد أمين) فلقد تحدث فى مقدمته عن قضية اللفظ والمعنى، وهى قضية شغلت حيزاً كبيراً من تفكير النقاد، وحكموا فيها بما شاع فى

(١) فى الأدب العربى الحديث: ٢/٣٩٠.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين :٩.

(٣) الديوان : ١٦٣.

عصرهم، فمنهم من فضل اللفظ، ومنهم من فضل المعنى، ومنهم رفض هذه الثنائية وأوجب التعانق بينهما، حيث أوجب للمعنى الشريف لفظاً شريفاً أيضاً، وهو ما أقره الأستاذ(أحمد أمين) فى شعر (صبري)حيث قال: " فهو يتخير اللفظ الشريف للمعنى الشريف، واللفظ القوى للمعنى القوى، واللفظ الرقيق للمعنى الرقيق "[١]، ولكن مسألة أيهما أسبق فى الورود على ذهن الشاعر اللفظ أم المعنى، وكيف يؤلف بينهما، حيث قال: " ويخيل إلى – وإن لم أره– أنه كان إذا عثر على المعنى، ثم عثر له على اللفظ، حاكه فى نفسه، ورده على سمعه، ووزنه بميزانه، واستعمل كل أدوات الصائغ فى صياغته فنقص مما زاد وزاد مما نقص، ورجح مما ما خف، وخفف مما رجح، حتى إذا أنس به واستوثق منه، نشره على الناس، وأمن على عرضه "[٢] وهو كما نرى ضرب من التخمين ولم يجزم بشيء؛ لأن مرد ذلك إلى نفس الشاعر التى لم يطلع عليها أحد غيره، إلا أنه قد أوضح لنا هذا الجهد الكبير الذى كان يبذله(صبري) فى سبيل نظم الشعر، فكان بحق أحد الشعراء الرواد المحدثين المجددين العاملين على بعث الشعر وإحيائه.

وكذا حكم (أنطون الجميل) أيضاً فى مقدمته على(صبري) بأن شعره كان يمتاز بفصاحة اللفظ وجزالته، ورونق المعنى وجدته، وقوة الخيال ودقته، وما ذلك إلا لشدة إخلاصه للشعر ونظمه، والعمل على إجهاده نفسه؛ ليخرج شعره على هذه الصورة التى ارتضتها نفسه قبل نقَّاده، سهلا ميسوراً صافياً مما يكدر صفوه " كالماسة الصافية الماء، الطاهرة اللآلاء، السليمة من كدر وعيب، ينسينا جمالها عناء من قطعها وصقلها "[٣]، وهكذا كان شعر(صبري) خالياً من العيوب

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد أمين : ١٦.

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل : ٢٥.

المخلة بفصاحة الألفاظ، أو ما يستغلق على الأفهام، فكان كما قال الأستاذ(أحمد الزين): " يتخير فى تأدية معناه اللفظ السهل الرقيق، والعبارة الواضحة المشرقة؛ فلا تجد فى شعره بيتا واحداً تقف فى فهم المراد منه، ولا لفظاً تحتاج فى معرفة معناه إلى معجمات اللغة"[(١)].

ومن المضامين الفنية المتعلقة بالألفاظ والتى شاعت فى شعر (صبري) وأثارها المقدمون لديوانه، وهى شيوع الروح المصرية، وذلك من خلال استخدام بعض الألفاظ التى شاعت على ألسنت الشعب المصري فى أحاديثهم اليومية، ومن ذلك ما ذكره(د/ طه حسين)فى مقدمته معلقاً على مطلع إحدى مقطوعاته التى يخاطب فيها فؤاده التى يقول فيها : (من البسيط)

أقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة ولا بشافعة فى رد ما كانا

سَلَا الفؤادُ الذى شاطرته زمنا حمل الصبابةِ فاخفق وحدك الآنا[(٢)]

فهاتان الكلمتان (نافع- وشافع) شاعت فى أحاديث المصرين اليومية العادية من مثل قولهم (لا ينفع – ولا يشفع)، ويرى (د/ طه حسين) أن (صبري)أخذ مثل هذه الألفاظ التى تشيع على ألسنة العامة ويرتقى بها ومن ثم نجده يقول عن هذه الألفاظ : " فيرتفع بهما إلى أشد الشعر روعة، وأعظمه حظاً من سذاجة، وهل تجد شيئاً من الغرابة فى أن يغنى فى هذا الشعر بعض المغنين "[(٣)]، فنجد(د / طه حسين) قد أعجب بشعر (صبري)أيما إعجاب فما يراه غيره أنه قد سقط فيه نجده يبحث له ما يبرر ذلك، فمثل هذه الألفاظ التى شاعت فى شعره وشاعت على ألسنة العامة قد يرها غيره من النقاد والدارسين لشعره أنها

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٤٠.

(٢) الديوان : ١١٦.

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين :١٢.

موضع انتقاد، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ (عمر الدسوقي)حيث يرى أن(د/طه حسين)قد بالغ فى الثناء على صبري فى هذه الأبيات، ويرى أنها ليست بصادقة العاطفة، وأنه مقلد فيها لا مبتكراً [١].

وكذلك تحدث المقدمون لديوان(صبري)عن الصور والأخيلة التى شاعت فى شعر(صبري)، حيث قد عرف بسعة خاليه ودقة تصويره، وخاصة هذا التصوير الساخر، أو بما عرف بالصورة الكاريكتيرية (الهازلة المضحكة)، وقد أبرز لنا ذلك(د/ طه حسين)بما عرف من مقطوعات عام الكف، ومن ذلك ما جاء فى قول(صبري) : (من الوافر)

وإنْ أحدٌ تعرض لى بسوءٍ وقفتُ وراءَ صُدْغي واختفيتُ[٢]

ولقد أشاد (د/ طه حسين)بالصورة الواردة فى البيت، وكيف أن (صبري) برع فى رسمها وهى صورة رجل يستخفى وراء صدغه، فإذا ما ضُرِبَ تلقى الضربات بصدغه متخفيا وراءه[٣]، وهو ما عرف فى أحاديث المصريين اليومية (صاحب العرض الواسع)، وهو الإنسان الذى يتحمل ما يقع عليه من أذى ولا يعبأ بما يحدث له .

أما بالنسبة لعناصر بناء الصورة كالجناس، والطباق والمقابلة، وغيرهم من المحسنات البديعية، فقد أجمع المقدمون لديوانه على أنه كان متكلفا فيها بعض الشئ، وتبدو ملامح التصنع على نتاجه الشعرى فى بدايته الشعرية، أما المرحلة الثانية فقد استخدم هذه المحسنات بقدر، ومن ثم نجد الأستاذ(أحمد الزين) يذكر أنه فى المرحلة الثانية من حياته الشعرية كان أجدر بتصوير دواخله وشعوره

(١) فى الأدب العربى الحديث: ٣٦٦/٢.

(٢) الديوان : ٩٩.

(٣) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين :١٣.

ومكنونات نفسه ويكأنها شيء ملموس لدى متلقيه، غير متكأ على مبالغة مسرفة، أو تخيل غير مقبول، أو استخدام لفظ غير مألوف[١] .

وبعد عرض المضامين الفنية التى أثارها المقدمون لديوان(صبري) نجد أنهم قد أغفلوا الحديث عن الموسيقى بنوعيها الداخلية والخارجية، على الرغم من كون (صبري) أحد رواد المحافظين والداعين إلى إحياء الشعر وبعثه من رقاده، مع الحفاظ على أركانه، ولاشك أن الأوزان الخليلة والقوافي من أهم أركان الشعر عند هؤلاء المحافظين، وقد رأين المقدمين لدواوين مثل هؤلاء الشعراء المحافظين قد اهتموا بالجانب الموسيقى عندهم، هذا إلى جانب خروجه عن الإطار الخليلي فيما عرف بالأغاني التى تم استدراكها وإلحاقها بالديوان، مما يعد مادة خصبة للحديث عن هذا الجانب، ومع ذلك لم يجرى حديث من المقدمين عن ذلك إطلاقاً، كما وجدنا هؤلاء المقدمين لم يتعمقوا فى عرضهم للخيال فى شعر صبري، وجاء الحديث مقتضباً عن الصورة فلم يكن هناك إبراز للصورة الكلية والجزئية.

رابعا : مقدمات ديوان إسماعيل صبري مالها وما عليها :

وبعد الدراسة المتأنية لمقدمات ديوان(إسماعيل صبري) الست، ورصدنا ما فيها من مضامين موضوعية، وأخرى فنية، وقد تجلت لنا فى صورة عمل أدبي نقدي، كما تجلت لقراء ودارسي شعر (صبري)ككاشفة وموضحة لأهم الجوانب النقدية، وخاصة أنها صادرة من أدباء ونقاد كبار، لهم اليد الطولي فى حقل الدراسات الأدبية والنقدية، لكن ما من عمل بشرى إلا وله ما له وعليه ما عليه، ومن ثم كان لزاما علينا أن نوضح الإيجابيات التى تتحلى بها هذه المقدمات، وأهم السلبيات التى يمكن أن يأخذها الباحث على هذه المقدمات .

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد الزين :٤٠.

فمن أهم ما تتميز به مقدمات ديوان (صبري)أنها مكملة لبعضها، وكأنها موضوع واحد، وكأن كل من أراد أن يقدم لهذا الديوان اطلع على مقدمة غيره، محاولاً تجنب ما ذكره غيره قدر المستطاع، فإذا ما قرأت المقدمات جميعها، فكأنك أمام وجبة دسمة من الدرس الأدبي الماتع، وكأنك تقرأ موضوعاً واحداً، تتنقل بين صفحات هذه المقدمات فتجد إفادة هنا انفرد بها هذا المقدم عن سابقه، تاركا المجال لغيره أن يتحدث فى جانب آخر، إلا أن هناك وشيجة واحدة تربط بينهم جميعا هو حب هذا الشاعر الكبير، والإعجاب بشخصه قبل شعره، أخلصوا له جميعا فغضوا الطرف عن بعض الأمور التي قد يأخذها الدارسون لشعر أى شاعر مهما بلغت فحولته .

فها هو ذا آخر من قدم لديوان (صبري)وهو الناقد المعروف(السماح عبد الله)الذى قدم للطبعة الثانية والتى ظهرت بعد الأولى بثمانية وسبعين عاماً، وقد قدم فيها عرضا سريعاً وملخصا للمقدمات الخمس الأخر التى قدمت للطبعة الأولى والتى ظهرت بعد خمسة عشر عاماً من وفاة (صبري)، وقد ذكر فيها أنه قد اكتفى بما صال به وجال المقدمون الذين قدموا للطبعة الأولى من سيرة غيرية ظهرت فى مقدماتهم جميعا وخاصة فى مقدمة (أحمد الزين)التى كانت أكثر تفصيلا من غيرها، أما المضامين الفنية فقد اهتم بها(د /طه حسين)، و(أنطون الجميل) و(أحمد أمين)عن غيرهم[١] .

أما مقدمة جامع الديوان (حسن رفعت بك)والتى تعد أول مقدمة فى الترتيب فقد ركز حديثه عن جمع الديوان، وذكر أنه كان عرضة للضياع بسبب عدم اكتراث (صبري)بشعره، وأنه مازال عنده أفضل من ذلك، وأما(الدكتور/ طه حسين)فقد اهتم بإلقاء الضوء على بعض الجوانب الموضوعية والفنية باختصار

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبرى باشا الطبعة الثانية – للسماح عبد الله : ١١.

شديد واعداً جمهوره من القراء بأنه سيعود بدراسة متأنية لشعره الغنائي إن واتته الفرصة، أما الأستاذ (أحمد أمين)فقد أعرض صفحاً عن سرد سيرة (صبري) الذاتية ومكانته الأدبية؛ وقد ذكر السبب فى ذلك أن صاحبيه (د/ طه حسين)، و(أحمد الزين)قد فصل القول فى ذلك؛ لذا فقد اهتم هو بجانب آخر يمم وجهه نحوه وهو تذوق شعره ووضعه فى ميزان النقد، وأما (أنطون الجميل)فقد مزج فى مقدمته بين سيرة(صبري)الذاتية والعوامل المؤثرة فى شعره، فلا فكاك بينهما ولا مناص فى الجمع بينهما فى حديث واحد، وهكذا جاء حديث الأستاذ(أحمد الزين) فى مقدمته عن حياة (صبري) وأخلاقه وصفاته، ووطنيته وشعره وشاعريته، مسلطاً الضوء على ديوانه مفصحاً عن خطته وما قدمه من جهد واضح فى هذا الديوان، وهكذا جاءت المقدمات الست التى قدمت لديوان(صبري) تتعاضد وتتكاتف فى الحديث عن(صبري) وديوانه، وكأنها موضوع واحد قام به دارس واحد ولعل هذا هو أهم ما تتميز به مقدمات ديوان (إسماعيل صبري).

وكذلك كان من أهم الإيجابيات التى تتميز بها مقدمات(إسماعيل صبري)اللغة الأدبية الرصينة، وأسلوب رفيع يحتاج إلى قراء متخصصين، لا سيما أنها لغة أدباء كبار لهم باع طويل فى عالم الدرس الأدبي والنقدي، فهم متخصصون فى فنهم، بخلاف ما نراه اليوم من مقدمي الدواوين الشعرية المعاصرة، حيث قد جاءت لغتها فى معظمها ضحلة بسيطة عبارة عن تقريظ فيه مجاملة واضحة جداً، وقد يكتبونها دون قراءة للديوان، أو قراءة عابرة غير متأنية، أما المقدمات التى نحن بصددها فكانت ميراث معايشة وقراءة بعد قراءة متأنية؛ لذا أصدروا أحكاماً نقدية اتكأ عليها معظم الدرسين لشعر (صبري) وذلك فى الأعم الأغلب، إذ إنها تعد باكورة الدراسات النقدية لديوان (صبري)؛ حيث جاءت مقترنة بظهوره للنور تقدمه بين يدي قرائه .

فما أجمل لغة (حسن بك رفعت) جامع ديوان(صبري)، وما أرق تعبيره وهو يتحدث عن (صبري) بقوله : " كان أشبه بالبلبل يرسل أغاريده الساحرة إذا

ما جاشت فى صدره عاطفة، أو تأثرت نفسه بحادثة أو خطرت له ذكرى، ثم يتركها تمضى مع الأيام غير مبال بمصيرها"[١]،فتلك العبارة على وجازتها أفصحت عن أوصاف(صبري) وأوصاف شعره ، وطريقة نظمه، ومنهجه الذى يدل على شاعر صاحب الصوت الحر ينشد الفن من أجل الفن، لم يقله رغبة ولا رهبة، غير مهتم بضياع شعره وذهابه مع الأيام، إذ لم يجمع ديوانه فى حياته كما فعل أغلب الشعراء فى عصره .

ولنمعن النظر فى لغة عميد الأدب العربى وهو يعبر عن بدايات (صبري)بقوله : " فأقرأ الديوان من أوله فسترى فتى يحاول قرض الشعر على النحو الذى تعلم الناس من قبله عليه قرض الشعر "[٢]ولا يخفى ما فى ذلك من دليل قاطع على قراءة(د/ طه حسين) لديوان(صبري)مرة بعد مرة ومعايشته له، إذ به كيف يوجه قراءه لقراءته دون أن يقرأ هو أولاً، ثم نجده يترفق بهذا الشاعر الذى لا يزال فى بدايات شعره فيستعمل لفظة (فتى)ليدل على أنه شاعر لم يكتمل النضج بعد، ثم كرر النظر فى استخدام الفعل (يحاول) ما يفيد جهد النفس فى طريق التحسين، ومحاولة الوصول إلى الكمال، وأما تعبيره (قرض الشعر على النحو الذى تعلم الناس من قبله عليه قرض الشعر) فكان يكفى أن يقول (كان مقلداً) فى بداياته، كما قال غيره من النقاد والدارسين، لكنه آثر التعبير بذلك؛ لأنه يعلم أن هذه المقدمة تهيئة للقارئ، وأي تعبير غير لائق فى حق الشاعر –وإن كان الناقد فيه محقا–قد يصرف القارئ عن قراءة الديوان لأول وهلة .

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لحسن رفعت بك : ١.

(٢) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة طه حسين : ٧.

ولنقرأ قول(أنطون الجميل)فى (صبري): " وإذا نظرنا إلى النسر محلقا فى الفضاء لا نتساءل من أى عش درج، ولا من أية قمة طار، بل نقف معجبين بما فى جناحيه من قوة ومضاء، رفعاه إلى عرش الأجواء "[1] ، فليس هذا مجرد حديث عادى عن سيرة شخص عادى أو سرد لحياة شاعر من الشعراء، وإنما هو تأطير وتدبيج لتقديم وجبة دسمة من الدرس الأدبي والنقدي، وتقديم شاعر عملاق فى حجم (إسماعيل صبري) إلى قرائه؛ ولهذا فقد جاءت لغة هؤلاء المقدمين لديوان (صبري)عالية ذات ذوق رفيع عال المستوى، وأسلوب رصين يحتاج إلى قراء متخصصين فى الدراسات الأدبية والنقدية .

ومما تتحلى به هذه المقدمات أيضا من إيجابيات أنها جاءت مدعمة ومضمنة بنماذج شعرية، كان الهدف منها الاستشهاد بها على ما ذكروه من أحكام نقدية خلال تلك المقدمات، وقد ذكرت العديد من هذه النماذج فيما سبق، ولكنى هنا أذكر منها نموذجاً مما اختاره(أنطون الجميل)من شعر (صبري)، وجعلها خاتمة مقدمته لتأبينه والترحم عليه وهى : (من الكامل)

يـاربِّ ! أيـن تُـرَى تقـام جهـنمُ ... للظـالمِين غـداً وللأشـرارِ
لـم يُبـقِ عفـوُك فـى السمواتِ العـلا ... والأرض شـبراً خاليـاً للنـارِ
يـاربِّ أهلنـي لفضـلك واكفنـي ... شـطط العقـولِ وفتنـة الأفكـارِ
ومُـرِ الوجـودَ يشـفُّ عنـك لكـي أرى ... غضـبَ اللطيـفِ ورحمـة الجبـارِ
يـا عـالمِ الأسـرارِ، حسـبي محنـةً ... علمـي بأنَّـك عـالمُ الأسـرارِ
أخلِـق برحمتـك التـى تسـع الـورى ... ألا تضـيقَ بـأعظم الأوزار[2]*

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أنطون الجميل : ١٩.
(٢) الديوان : ١٩٣.

ما هذا الجمال والجلال فى مناجاة عبد مثقل بالذنوب والأوزار لرب عفو كريم يغفر الذنب ويستر العيب، ولقد اختارها (أنطون الجميل) من شعر (صبري) مترحما بها عليه، وليختتم بها مقدمته، وإن اختلف عنه فى الديانة؛ ولهذا نجده يعلق عليها قائلاً : " فإن فى وسع كل مخلوق أيا كان دينه أن يناجى بها خالقه " ، وهكذا يجب أن يدرس الأدب بعيداً عن التعصب للفكر أو للدين أو للعرق، وإنما يجب أن يدرس فى كنف الإنسانية وما من شأنه أن يؤدى إلى رقى الإنسان وتقدمه، وهو ما لاحظناه فى مقدمات هؤلاء الأدباء الذين قدموا لديوان(صبري)من أنهم ينشدون كل الايجابيات غير متعصبين ولا متشددين فى نقدهم باحثين عن السلبيات، مستخدمين كل أسلوب من شأنه أن يجذب القارئ نحو ديوان (صبري).

وما من عمل بشرى إلا ويعتريه النقصان ويوجد به سلبيات، فمن السلبيات التى لاحظها الباحث على هذه المقدمات غياب العديد من المضامين الموضوعية والفنية عن المشهد النقدى خلال عرض تلك المقدمات، ومن الممكن أن يوجه سؤال إلى الباحث، وهل ينتظر الباحث من مقدمي الديوان أن يأتوا بدراسة وافية لما ورد فى الديوان من أشعار؟

كان الباحث لا ينتظر دراسة وافية من مقدمي الديوان، غير أن هناك بعض المضامين الأساسية كان ينبغي عليهم أن يأتوا بمثل هذه المضامين خلال تقديماتهم، إلا أنها قد اختفت من المشهد النقدي تماماً كما ذكر آنفاً، كما أن المضامين الموضوعية والفنية التى تم عرضها خلال التقديم لم يكن تعمق فى عرضها، ولعل السبب فى ذلك، افتقار المقدم إلى منهجية علمية فى التناول من خلالها يستطيع أن يستبطن جوانب التجربة الإبداعية التى يقدم لها، ومرد ذلك أن التقديمات أتت انطباعية أكثر منها ذات منهجية علمية، علما بأن الذى يتصدى لأي حديث نقدي يجب عليه أن يكون دقيقاً فيما يقول وفيما يعرض حتى تأتى أحكامه ونتائجه دقيقة؛ ولأن هذه الأحكام لها خطورتها، فكثير من الباحثين

من يبنى أحكاماً نقدية معتمداً على هذه الأحكام ، وخاصة حينما تكون صادرة من أعلام كبار لهم قدم راسخة فى النقد الأدبي، مثل هؤلاء الأدباء الذين قدموا لديوان(إسماعيل صبري)، وبالفعل كل الدراسات الأدبية والنقدية التى قامت حول ديوان(صبري)، اتخذت من هذه الأحكام متكأً يتكئون عليه فى دراساتهم .

ومما يؤخذ عليهم جنوحهم إلى لغة الخيال فهي لغة تتناسب مع المتخصصين كما ذكر أنفاً، لكنها قد تعيق غير المتخصصين فى مواصلة القراءة، هذا فضلاً عن استخدامهم للسجع فى بعض الأحيان، وهو أسلوب كرهوه فى شعر (صبري)عند بداياته وأخذوه عليه، ومن ذلك قول الأستاذ (أحمد أمين)عن شعر صبري الرسمي– التهاني والمديح –" فممدوحه قد سفر فلاح منه هلال سعود، وبدا فكان غرة الموجود؛ وهو بحر مستعذب الورود، يعم كل الناس بالرفد؛ يتصنع التورية والجناس ، ويختم شعره بالتاريخ كما يألف الناس "[1]، وهكذا فى معظم تعليقاته يتبع السجعات التى عابها على(صبري)، فكيف به يعيب شيئاً ويأتي مثله؟!! .

ولقد أخذ الباحث على المقدمين المجاملة التى صحبت الكثير من الأحكام التى أصدروها بشأن شعر(صبري)، وقد ذكرت العديد من الأمثلة خلال طرح البحث والعرض لمضامينه، وقد لاحظ ذلك بعض الدارسين لشعر (صبري)كـ(عمر الدسوقي)الذى أخذ على (الدكتور/ طه حسين) إفراطه فى الثناء على شعر (صبري)فقال : " لقد أثنى (الدكتور/ طه حسين) ثناء لم نعهده منه فى أى شاعر آخر" حينما علق (د/ طه حسين) على أحد النماذج التى ساقها فى مقدمته لديوان (صبري)، حيث قال : " فهل تعرف روحاً أعذب من هذه الروح؟ وعاطفة أصدق من هذه العاطفة؟ ولهجة أرق من هذه اللهجة؟ وموسيقي أجل

(١) مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية مقدمة أحمد أمين : ١٦.

وأظرف وأحسن تمثيلاً للروح المصري الشعبي من هذه الموسيقي " ومعلوم أن (الدكتور/ طه حسين) كان دائما ما يتشدد مع الشعراء ويطالبهم بأمور كثيرة .

خاتمة البحث

بعد أن وفقني الله- ﷻ- لإتمام هذا البحث الذي تناول مقدمات ديوان إسماعيل صبري دراسة تحليلية ، فإنني أجمل بعض النتائج التي أسفر عنها البحث فيما يلي:

١- التقديمات النقدية الجادة لدواوين الشعر عمل إبداعي؛ لأنها تلقى بأضوائها على الديوان وصاحبه، فتنير السبيل للدارسين، وتعمل على تهيئتهم للقراءة مرة أخرى، فتمهد لهم بما تضع بين يديه من إشارات تضئ لهم معالم الطريق.

٢- الشاعر إسماعيل صبري بك من الشعراء الرواد، أخلص للشعر فبوأه مكانة عظيمة بين الناس لم تبوؤه إياها المناصب العليا التى تقلدها، فديوانه رغم صغره إلا أنه كان قبلة للدارسين والنقاد، فما إن ظهر هذا الديوان للوجود إلا وقدم له خمسة من كبار الأدباء المشهود لهم فى مجال الدرس الأدبي آنذاك، وهذه المقدمات من شأنها أن جعلت من النصوص الواردة فيه كتاباً مفتوحاً لقرائه.

٣- مقدمات الدواوين لا تقل شأنا عما بها من محتوى، فهي على المستوى الإبداعي نص موازٍ لما جاء فى الديوان من فن وإبداع؛ ولهذا فإن المقدمات تحتاج إلى اهتمام الباحثين والدارسين فى حقل الدراسات الأدبية والنقدية.

٤- لقد جاءت مقدمات ديوان صبري أشبه بمقدمة واحدة متكاملة، أتاح لها ذلك اطلاع اللاحق على محتوى السابق؛ ومن ثم فقد اختص كل وحد بجانب ركز عليه، فالقارئ لهذه المقدمات كأنه يقرأ موضوعاً واحداً غير أنه يرى الاختلاف فى الأسلوب والتناول .

٥- اتسمت مقدمات ديوان صبري بروح نقدية غير متعصبة، ولا متشددة فى إصدار الأحكام؛ لدرجة أنهم كانوا يتفننون فى إيجاد المبررات التى قد يراها البعض مأخذا على صبري، كما جاءت لغتهم عالية المستوى، وأسلوب رفيع

يحتاج إلى متخصصين، كما زينوا ما ذكروه من أحكام بنماذج مستدلين بها على ما ذهبوا إليه، موظفين إياها أحسن توظيف، وكثيرا ما أشاروا إلى نماذج ولم يذكروها لضيق المقام .

٦- يفتقد المقدمون لديوان إسماعيل صبري بوجه إلى منهجية علمية يتبعونها فى عرض مضامينهم الموضوعية والفنية، ومن ثم فقد تنبه الباحث إلى غياب العديد من المضامين عن المشهد النقدي، وذلك أثناء عرضهم وطرحهم للمضامين الموضوعية والفنية لديوان صبري، حتى المضامين التى عرضوا لها جاءت سطحية غير متعمقين فى عرضها، حيث تنوع تقديمهم ما بين التقديم النقدي، والانطباعي تارة أخرى.

هذا عن نتائج البحث أما عن توصياته ..... فالباحث يوصى بما يلى

فالباحث يرى أن البحث فى الأدب التقديمى مازال يحتاج إلى جهد الباحثين ووقتهم واهتمامهم، وخاصة المقدمات النقدية التى تصدى لها من لهم باع طويل فى الدراسات الأدبية والنقدية، فهو مجال لا يزال بكراً، مع تنبيه الباحثين من خطر التقريظات والمجاملات التى تُصَدَّرُ بها بعض مقدمات الدواوين؛ فيأخذونها على أنها أحكام مسلم بها، فتكون سبباً فى تضليلهم والبعد عن الحقيقة والواقع .

****

دكتور / حامد سعد على خضرجى جاويش
أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

المصادر والمراجع

١- الأدب العربى المعاصر فى مصر- د / شوقى ضيف – دار المعارف – الطبعة الثالثة عشرة د.ت

٢- إسماعيل صبري باشا (شيخ الشعراء) حياته وأثره فى الأدب وفى عصره- نجيب توفيق – الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٢٣م

٣- الأعلام – الزركلى – دار العلم للملايين – ط ١٥- عام ٢٠٠٢م-

٤- ديوان إسماعيل صبرى باشا الطبعة الثانية – للسماح عبد الله- الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ٢٠١٦م

٥- ديوان حافظ إبراهيم- الطبعة الثالثة الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٧م .

٦- ديوان صالح الشرنوبي -الطبعة الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٧- الروح المصرية بين البهاء زهير وإسماعيل صبري دراسة تحليلية- للباحث فايز عبد الحميد إبراهيم النجار- سالة التخصص الماجستير فى الأدب والنقد عام ٢٠٠٤م.

٨- فن السيرة – د /إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت لبنان –ط٢- عام ١٩٠٠م.

٩- فى الأدب العربى الحديث- عمر الدسوقي – دار الفكر العربي – الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٠- قراءة فى مقدمتي " سقط الزند" و" اللزوميات " لأبى العلاء المعرى – ناصر بناتى -مقال منشور فى مجلة اللغة الوظيفة بالجزائر.

١١- لسان العرب – لابن منظور-دار صادر – بيروت- ط٣- ١٤١٤هـ

١٢- مجلة اللغة الوظيفية – المركز الجامعى بآفلو – الجزائر – ج . الثامن – العدد ٢ – عام ٢٠٢١م.

١٣- معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – مكتبة المثنى – بيروت – دار إحياء التراث العربى ببيروت : ٢/٢٧٢.
١٤- مقال فى مجلة أبوللو – أحمد محرم – نشر عام ١٩٣٤م.
١٥- مقدمات دواوين الشعراء الإحيائيين لدواوينهم فى الربع الأول من القرن العشرين: دراسة نقدية ،للباحث السعودي أحمد بن صالح الطامى، وقد نشر فى مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود.
١٦- مقدمة ديوان إسماعيل صبري باشا الطبعة الثانية – لحسن رفعت بك – الصادرة عن مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – عام ١٣٧٥- ١٩٣٨م.
١٧- النقد فى مقدمات الدواوين الشعرية من الشدياق إلى العقاد للباحث د/ حسن أحمد الأشلم، مجلة كلية التربية جامعة مصراتة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٤١١
التمهيد.	٤١٥
المحور الأول: مقومات السيرة الغيرية .	٤١٩
المحور الثانى: المضامين الموضوعية فى مقدمات ديوان(إسماعيل صبري) .	٤٢٧
المحور الثالث: المضامين الفنية فى مقدمات ديوان (إسماعيل صبري) .	٤٤٠
المحور الرابع: مقدمات ديوان(إسماعيل صبري) مالها وما عليها	٤٥٣
خاتمة البحث	٤٦١
المصادر والمراجع	٤٦٣
فهرس الموضوعات	٤٦٥